الرَّدُّ
عَلَى
مَنِ اتَّبَعَ غَيْرَ الْمَذَاهِبِ الْأَرْبَعَةِ

دار اللباب

هذه الرسالة لزين الدين
ابن رجب رحمه الله
تعالى وبرد
عنه
آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى وصلى الله على محمد عبده ورسوله النبي الامي خاتم النبيين وامام المتقين المبعوث بالدين القيم والشريعة الباقية المؤيدة المحفوظة الذي لا يزال من امته طائفة ظاهرة على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة وبعد
فقد بلغني انكار بعض الناس علي انكاري على بعض من ينتسب الى مذهب الامام احمد او غيره من مذاهب الائمة المشهورين في هذا الزمان الخروج عن مذاهبهم في مسائل ويزعم ان ذلك لا ينكر على من فعله وانه من فعله قد يكون مجتهدا متبعا الحق الذي ظهر له او مقلدا لمجتهد آخر فلا ينكر ذلك عليه فاشرت وبالله التوفيق وهو المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة الا به لاريب ان الله تعالى حفظ لهذه الامة دينها حفظا لم يحفظ مثله دينا غير دين هذه الامة وذلك ان هذه الامة ليس بعدها نبي يجدد ما دثر من دينها كما كان دين من قبلنا من الانبياء كلما درس دين نبي جدد نبي آخر يأتي بعده فتكفل الله سبحانه بحفظ هذا الدين واقام له في كل عصر حملة ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتاويل الجاهلين وقد قال الله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون فتكفل الله سبحانه بحفظ

مكتبة مركز جمعة الماجد

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

الحمد لله الذي وفَّق من شاء من عباده إلى الصواب، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي أُنزل عليه الكتاب، وأوتي الحكمة بياناً وهدى لأولي الألباب، وعلى الآل والأصحاب، ومن تبعهم إلى يوم المآب.

أما بعد:

فإنَّ ما حذَّر منه الإمامُ ابن رجب رحمه الله تعالى في رسالته هذه من الفوضى الدينية هو ما نَراه عياناً في يومنا هذا، بعد أن عَمَّت الجهالة وفشَت الضلالة، فقال كلُّ مَنْ شاءَ ما شاء.

وحقًّا قد تجاوز الأمرُ بمراحلَ ذاك النقاشَ العقيم الذي خاض فيه الناسُ خلال القرن الماضي ـ القرن الرابع عشر ـ في قضايا التمذهب (وجوباً أو تحريماً!)، والاجتهاد والتقليد، والجمود والتعصب، والسجالات العنيفة بين من يدافع عن التمذهب، وبين من يدعو إلى نبذ المذاهب والاكتفاء بما في كتب الحديث! أو من جانب آخر تحكيم العقول في النصوص!

تجاوزَ الأمر ذلكَ كلَّه، ووصل إلى أن يتجرأ على الفتوى من ليس لها بأهل ـ حتى تجرأ الفُسَّاقُ والعصاة على ذلك! ـ وصِرنا نسمع الحلالَ حراماً والحرامَ حلالاً، والمعروفَ منكراً والمنكرَ معروفاً، والهدى ضلالاً والضلالَ هدى، والسنةَ

بدعةً والبدعةَ سنةً، بل الإيمان كفراً، والكفر إيماناً!! في الوسائل الإعلامية التي قفزت فوق حِلَق العلم والذِّكر، وأروقة الجامعات، ورفوف المكتبات!!

مما صَوَّره بدقة الإمام ابن رجب رحمه الله ـ رغم أنه كان في أواخر القرن الثامن الهجري ـ من العجب العجاب: «من كل أحمقَ متكلف، معجبٍ برأيه، جريء على الناس وثَّاب، فيدعي هذا أنه إمام الأئمة، ويدعي هذا أنه هادي الأمة، وأنه هو الذي ينبغي الرجوع دون الناس إليه، والتعويل دون الخلق عليه!!».

وإذا كان حسم الفوضى الدينية دفع الصحابة رضي الله عنهم إلى الاقتصار على رسم المصاحف العثمانية، ودَفع مَنْ بعدهم إلى إقامة ميزان التعديل والتجريح، ليعرف السقيم من الصحيح مما يُروى عن رسول الله ﷺ، ومِنْ ثَمَّ تلقت الأمة الصحيحين ـ صحيح الإمام البخاري، وصحيح الإمام مسلم ـ بالقبول.

فهذا يوجب ـ من باب أولى ـ حَسْم الفوضى الدينية في الفتوى.

وحَسْم الفوضى الدينية هذا لا يُسمى إغلاقاً لباب الاجتهاد! وقد أوضح هذا الإمامُ ابن رجب رحمه الله، فقال: «فلم يزل يظهر مَنْ يَدَّعي بلوغ درجة الاجتهاد، ويتكلم في العلم من غير تقيد بأحد من هؤلاء الأئمة ولا انقياد».

ثم ذكر أقسامهم:

١ ـ «فمنهم: من يسوغ له ذلك، لظهور صدقه مما ادعاه». وهذا ينفي بوضوح تام ما يفتريه مَنْ يتهم علماء الأمة بإغلاقهم باب الاجتِهاد!

٢ ـ «ومنهم: من رُدَّ عليه قوله، وكُذِّب في دعواه»، وذلك لتشبعه بما لم يعط ـ فهو كلابس ثوبَي زور ـ وكلامِه فيما لم يتأهل له، ومثل هذا لا يجوز له الكلام في العلم والفتوى بإجماع الأمة.

٣ ـ «وأما سائر الناس ممن لم يصل إلى هذه الدرجة: فلا يسعه إلا تقليد أولئك الأئمة، والدخول فيما دخل فيه سائر الأمة».

وهنا بيت القصيد من هذه الرسالة، فسائر الناس هم جمهور الناس، وفيهم من لم يطلب العلم أصلاً، فأنى لهم الاجتهاد؟!

ولم تظهر نتيجةٌ من دعوة هؤلاء إلى الأخذ مباشرة من الكتاب والسنة ونبذ مذاهب أئمة العلم والدين إلا تركُهم تقليد الأئمة في القرون المشهود لها بالخير[1]، ثم عكوفهم على تقليد معاصرين لهم قد لا تؤمن عليهم الفتنة! وما هم بجانب الأئمة إلا كبقل في أصول نخلٍ طِوال، وأما من دعا هؤلاء إلى فهم الدين بمنظار جديد ونبذ (التراث والموروث) من الحديث الشريف والتفسير والفقه، فهو يبني تلك القنطرة التي ذُكرت أنها قنطرة الإلحاد!!

* * *

وبعد:

فهذه رسالة الإمام ابن رجب رحمه الله تناقش هذه المسألة، وتحل تلك المعضلة، رَجَّح في شطرها الثاني مذهب الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه بلغة هادئة لا تنقص فيها لغيره من أئمة الهدى رضي الله عنهم أجمعين، موصياً طالبَ العلم في آخرها وصيةَ أبٍ مشفق، ومربٍّ أمين، ومعلِّم ناصح رحمه الله تعالى، بأسهل عبارة وأجلى بيان، فجزاه الله عن المسلمين خيراً.

* * *

(١) وقد قال الإمام الذهبي رحمه الله في «سير أعلام النبلاء» في ترجمة الإمام الأوزاعي (٧/ ١١٧): «كما نقول اليوم، لا يكاد يوجد الحق فيما اتفق أئمة الاجتهاد الأربعة على خلافه، مع اعترافنا بأن اتفاقهم على مسألة لا يكون إجماع الأمة، ونهاب أن نجزم في مسألة اتفقوا عليها بأن الحق في خلافها».

وهذه الرسالة قد ذكرها للمصنف رحمه الله تعالى بهذا العنوان: ابن عبد الهادي في «الجوهر المنضد» (ص: ٤٧).

والغريب: أنه لا توجد لها نسخ خطية قديمة مع أهمية موضوعها! فنُسَخها متأخرة جدًّا وكأنها ترجع لأصل واحد لاشتراكها في الأسقاط نفسها، ولم تذكر تلك النسخ ذلك العنوان الذي ذكره ابن عبد الهادي[1]، لكن مضمونها مطابق له، لذلك أثبته مَن سبقوا لنشر هذه الرسالة، التي تعددت طبعاتها فيما بعد.

وقد اعتمدت في تحقيق هذه الرسالة على أقدم النسخ المتأخرة، وهي في (٩ ورقات) عليها تصحيحات قليلة، حصلنا على مصورتها من «مركز جمعة الماجد».

ناسخها: عبد الله بن درويش بن مبارك بن حسين العدساني.

وتاريخ نسخها: ٢٤ صفر ١٢١٩.

وقد رجعت إلى المطبوعات المتداولة عند الحاجة، وقد اعتُمد فيها على نسختين أخريين متأخرتين جداً، تاريخ إحداهما ١٣٤٣.

واجتهدت في استدراك بعض مواضع البياض في النسخة، إضافة إلى تصحيح بعض التصحيفات التي لا يستقيم الكلام معها.

فإن وُفقتُ لذلك فالحمد لله، وإلا فأستغفر الله.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

وكتب

محمد مجير الخطيب الحسني

---

(١) في نسختنا: «هذه الرسالة لزين الدين ابن رجب رحمه الله تعالى ورضي عنه آمين». وفي نسخة أخرى بخط حمد بن عبد العزيز العُريني سنة ١٣٤٣: «هذه الرسالة الفريدة في الحث على التقليد، للشيخ العالم العلامة زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي رحمه الله تعالى رحمة الأبرار، ونجانا وإياه من النار وجميع المسلمين». وهذا الوصف للرسالة ليس من المصنف رحمه الله.

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

وبه نستعين

الحمدُ للهِ ربِّ العالمِينَ، حمدًا كثيرًا طيِّبًا مباركًا فيه كما يحبُّ ربُّنا ويرضَى، وصلَّى اللهُ على محمَّدٍ عبدِه ورسولِه النَّبيِّ الأميِّ، خاتَمِ النَّبيِّينَ وإمامِ المتَّقِينَ، المبعوثِ بالدِّينِ القيِّمِ والشَّريعةِ الباقيةِ المؤيَّدةِ المحفوظةِ، الذي لا يزالُ من أُمَّتِه طائفةٌ ظاهِرِينَ على الحقِّ لا يضرُّهم مَن خذَلَهم حتى تقومَ السّاعةُ.

أمّا بعدُ:

فقد بلَغَني إنكارُ بعضِ النّاسِ على إنكاري على بعضِ مَن ينتَسِبُ إلى مذهبِ الإمامِ أحمدَ ـ أو غيرِه من مذاهبِ الأئمّةِ المشهورينَ في هذا الزَّمانِ ـ الخروجَ عن مذاهِبِهم في مسائلَ، وزعمَ أنَّ ذلكَ لا يُنكَرُ على مَن فعَلَه، وأنَّ مَن فعلَه قد يكونُ مجتهِدًا متَّبِعًا للحقِّ الذي ظهَرَ له، أو مقلِّدًا لمجتهِدٍ آخرَ فلا يُنكَرُ ذلكَ عليه.

فأقولُ وباللهِ التَّوفيقُ، وهو المستَعانُ وعليه التُّكلانُ، ولا حولَ ولا قوّةَ إلّا به:

لا ريبَ أنَّ اللهَ تعالى حفِظَ لهذهِ الأمّةِ دِينَها حِفظًا لم يحفَظْ مثلَه دِينًا غيرَ دِينِ هذهِ الأمّةِ، وذلكَ أنَّ هذهِ الأمّةَ ليسَ بعدَها نبيٌّ يُجدِّدُ ما دَثَرَ من دِينها، كما كانَ دِينُ مَن قبلَنا منَ الأنبياءِ، كلَّما دَثَرَ دِينُ نبيٍّ جدَّدَه نبيٌّ آخرُ يأتي بعدَه، فتكفَّلَ اللهُ سبحانَه بحفظِ هذا الدِّينِ، وأقامَ له في كلِّ عصرٍ حملةً ينفونَ عنه تحريفَ الغالِينَ وانتحالَ

المبطلِينَ وتأويلَ الجاهلِينَ[١]، وقد قالَ تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، فتكفَّلَ اللهُ سبحانَه بحفظِ كتابِه، فلم يتمكَّنْ أحدٌ منَ الزِّيادةِ في ألفاظِه ولا منَ النَّقصِ منها.

* * *

وقد كانَ النَّبيُّ ﷺ يُقرِئُ أمَّتَه القرآنَ في زمانِه على أحرفٍ متعدِّدةٍ؛ تيسيرًا على الأمَّةِ لحفظِه وتعلُّمِه، حيثُ كانَ فيهم العَجوزُ والشَّيخُ الكبيرُ، والغُلامُ والجاريةُ، والرَّجلُ الذي لم يقرأْ كتابًا قطُّ، فطلَبَ لهم الرُّخصةَ في حفظِهم له أن يُقرِئَهم على سبعةِ أحرفٍ، كما وَرَدَ ذلكَ في حديثِ أبيٍّ بنِ كعبٍ[٢] وغيرِه.

ثمَّ لمَّا انتشَرَت كلمةُ الإسلامِ في الأقطارِ، وتفرَّقَ المسلمونَ في البُلدانِ المتباعِدةِ، صارَ كلُّ فريقٍ منهم يقرأُ القرآنَ على الحرفِ الذي وَصَلَ إليه، فاختلَفوا حينَئذٍ في حروفِ القرآنِ، فكانوا إذا اجتمَعوا في الموسِمِ أو غيرِه اختلَفوا في القرآنِ اختلافًا كثيرًا، فأجمعَ أصحابُ النَّبيِّ ﷺ في عهدِ عثمانَ على جمعِ الأمَّةِ على حَرْفٍ واحدٍ، خشيةَ أن تختَلِفَ هذه الأمَّةُ في كتابِها كما اختلَفَت الأممُ قبلَهم في كُتُبِهم، ورَأَوا أنَّ المصلحةَ تقتضي ذلكَ، وحرَّقوا ما عدا هذا الحرفَ الواحدَ

---

(١) كما في الحديث المرسل الذي يرويه إبراهيم بن عبد الرحمن العذري قال: قال رسول الله ﷺ: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الجاهلين، وانتحال المبطلين، وتأويل الغالين».

أخرجه الخطيب في «شرف أصحاب الحديث» (ص: ٢٩) من طريق الإمام أحمد بن حنبل، وقال: إنه صحيح.

(٢) أخرجه مسلم (٨٢١) عن أبي رضي الله عنه، وفيه: «إن الله يأمرك أن تَقْرأ أمتُك القرآنَ على سبعة أحرف، فأيما حرف قرؤوا عليه فقد أصابوا».

منَ المصاحِفِ[١]، وكانَ هذا من محاسِنِ أميرِ المؤمنِينَ عثمانَ رضيَ اللهُ عنه، التي حَمِدَه عليها: عليٌّ[٢] وحذيفةُ[٣] وأعيانُ الصَّحابةِ[٤]، وإذا كانَ عمرُ قد أنكرَ على هشامِ بنِ حَكيمِ بنِ حِزامٍ على عهدِ النَّبيِّ ﷺ في آيةٍ أشدَّ الإنكارِ[٥]، وأبيُّ بنُ كعبٍ حصَلَ له بسببِ اختلافِ القرّاءِ ما أخبرَ به عن نفْسِه منَ الشَّكِّ[٦]، وبعضُ مَن كانَ يكتبُ الوحيَ للنَّبيِّ ﷺ ممَّن لم يَرسَخِ الإيمانُ في قلبِه ارتَدَّ بسببِ ذلكَ حتى ماتَ مرتَدًّا[٧]؛ هذا كلُّه في عهدِ النَّبيِّ ﷺ، فكيفَ [هـ]ـو الظَّنُّ[٨] بالأمّةِ بعدَه أن لو بَقِيَ الاختلافُ في ألفاظِ القرآنِ بينَهم؟!، فلهذا ترَكَ جمهورُ علماءِ الأمّةِ القراءةَ بما عدا هذا الحرفَ الذي جمعَ عثمانُ عليه المسلمِينَ[٩]، ونَهوا عن ذلكَ، ورخَّصَ فيه نَفَرٌ

---

(١) وقصة ذلك أخرجها البخاري (٤٩٨٧) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) فقال: «لـو وليت لفعلت في المصاحف الذي فعل عثمان» أخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ٢٨٤).

(٣) وهو الذي قال له: «أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب كما اختلف اليهود والنصارى». وذلك من حديث أنس رضي الله عنه، المتقدم تخريجه.

(٤) قال مصعب بن سعد: «أدركت الناس حين شقق عثمان المصاحف فأعجبهم ذلك»، أو قال: «لم يعب ذلك أحد». أخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ٢٨٤).

(٥) أخرجه البخاري (٢٤١٩) ومسلم (٨١٨) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٦) وكان ذلك سويعة قليلة، فضرب ﷺ صدره ففاض عرقاً، وقال: «وكأنما أنظر إلى الله عز وجل فرقاً»، أخرجه مسلم (٨٢٠).

(٧) أخرج البخاري (٣٦١٧) ومسلم (٢٧٨١) قصته، وأنه ارتد فمات فلم تقبله الأرض بل لفظته، وعند الإمام أحمد (١٢٢١٥) (١٣٥٧٣) تفصيل ما ذكره المصنف رحمه الله، لكن ليس فيه أنه كان يكتب الوحي. وانظر: «شرح مشكل الآثار» للطحاوي (٨/ ٢٥٩).

(٨) في النسخة: «والظن»، ولعل صوابها: «هو الظن» حتى يستقيم السياق.

(٩) وهذا قول جماهير العلماء من السلف والخلف وأئمة المسلمين: أن المصاحف العثمانية كتبت =

منهم، وحُكِيَ روايةٌ عن مالكٍ وأحمدَ معَ اختلافٍ عنهما على ذلكَ به[١] في الصَّلاةِ وغيرِها أم خارجَ الصَّلاةِ فقط[٢]؟

وبكلِّ حالٍ فلا تختلِفُ الأمّةُ أنَّه لو قرأَ أحدٌ بقراءةِ ابنِ مسعودٍ ونحوِها ممّا يُخالِفُ هذا المصحفَ المجتَمَعَ عليه، وادَّعى أنَّ ذلكَ الحرفَ الذي قرأَ به هو حرفُ زيدِ بنِ ثابتٍ الذي جمعَ عثمانُ عليه الأمّةَ، أو أنَّه أولى بالقراءةِ من حرفِ زيدٍ لكانَ ظالمًا متعدِّيًا مستحِقًّا للعقوبةِ، هذا لا يختَلِفُ فيه اثنانِ منَ المسلمِينَ، إنَّما محلُّ الخِلافِ إذا قرَأَ بحرفِ ابنِ مسعودٍ ونحوِه معَ اعترافِه بأنَّه حرفُ ابنِ مسعودٍ المخالِفُ لمصحفِ عثمانَ رضيَ اللهُ عنه.

***

وأمّا سنّةُ النَّبيِّ ﷺ: فإنَّها كانَت في أوَّلِ الأمّةِ تُحفَظُ في الصُّدورِ كما يُحفَظُ القرآنُ، وكانَ منَ العلماءِ مَن يكتبُها كالمصحَفِ، ومنهم مَن ينهَى عن كتابتِها، ولا ريبَ أنَّ النّاسَ يتفاوتُونَ في الحفظِ والضَّبطِ تفاوتًا كثيرًا.

ثمَّ حدثَ بعدَ عصرِ الصَّحابةِ قومٌ من أهلِ البِدَعِ والضَّلالِ، أدخَلوا في الدِّينِ ما ليسَ منه، وتعمَّدوا الكَذِبَ على النَّبيِّ ﷺ، فأقامَ اللهُ تعالى لحِفظِ

= على حرف واحد، ولا تشتمل على باقي الحروف إلا ما يحتمل رسم المصاحف من تلك الأحرف.
انظر: «التمهيد»، لابن عبد البر (٥/ ٦٠٨)، و«الإتقان» للسيوطي ـ آخر النوع السادس عشر.

(١) معنى العبارة: مع اختلاف عن مالك وأحمد على الترخيص بالقراءة.

(٢) نقل ابن وهب ذلك عن مالك في تفسير القرآن من «جامعه» (١١٨)، وحمله ابن عبد البر على ما كان خارج الصلاة في «التمهيد» (٥/ ٦٠٣)، وأخذ اللخمي بإطلاقه في «التبصرة» (١/ ٣٢٦).
وفيه نقلان عن الإمام أحمد بن حنبل كما في «الروايتين والوجهين» لأبي يعلى (١/ ١٢٢)، و«المغني» لابن قدامة (٢/ ١٦٦).

السُّنّةِ أقوامًا ميَّزوا ما دخَلَ فيها منَ الكَذِبِ والوَهمِ والغَلَطِ، وضبطوا ذلكَ غايةَ الضَّبطِ، وحفِظوه أشدَّ الحِفظِ.

ثمَّ صنَّفَ العلماءُ التَّصانيفَ في ذلكَ، وانتشَرَتِ الكتبُ المؤلَّفةُ في الحديثِ وعلومِه، وصارَ اعتمادُ النّاسِ في الحديثِ الصَّحيحِ على كتابَي الإمامَينِ أبي عبدِ اللهِ البُخاريِّ، وأبي الحسينِ مسلمِ بنِ الحجّاجِ القُشيريِّ رضيَ الله عنهما، واعتمادُهم بعدَ كتابَيهما على بقيّةِ الكتبِ السِّتّةِ، خُصوصًا سُننَ أبي داودَ، وجامعَ أبي عيسى، وكتابَ النَّسائيِّ، ثمَّ كتابَ ابنِ ماجَه.

وقد صُنِّفَ في الصَّحيحِ مصنَّفاتٌ أُخرُ بعدَ صحيحَي الشَّيخَينِ، لكن لا تبلغُ مَبلَغَ كتابَي الشَّيخَينِ، ولهذا أنكرَ العلماءُ على مَن استدرَكَ عليهما الكتابَ الذي سمّاه بالمستَدرَكِ، وبالَغَ بعضُ الحفّاظِ فزَعَمَ أنَّه ليس فيه حديثٌ واحدٌ على شرطِهما[1] وخالَفَه غيرُه، وقالَ: يَصْفُو منه حديثٌ كثيرٌ صحيحٌ[2]، **والتَّحقيقُ**: أنَّه يَصْفُو منه صحيحٌ كثيرٌ على غيرِ شَرطِهما، بل على شَرطِ أبي عيسى ونحوِه، وأمّا على شَرطِهما فلا، فقَلَّ حديثٌ ترَكَاه إلّا وله عِلّةٌ خفيّةٌ، لكن لِعِزّةِ مَن يَعرِفُ العِلَلَ كمعرفَتِهما وينقُدُه[3]، وكونهِ لا يتهيّأُ الواحدُ منهم إلّا في الأعصارِ المتباعِدةِ، صارَ الأمرُ في ذلكَ إلى الاعتمادِ على كتابَيهما والوثوقِ بهما والرُّجوعِ إليهما.

ثمَّ بعدَهما إلى بقيّةِ الكتبِ المشارِ إليها، ولم يُقبَلْ من أحدٍ بعدَ ذلكَ الصَّحيحُ

---

(١) روى ابن طاهر المقدسي في «المنثور من الحكايات والسؤالات» (٨) عن أبي سعد الماليني: أنه يقول: «طالعت كتاب «المستدرك على الشيخين» الذي صنفه الحاكم من أوله إلى آخره، فلم أر فيه حديثاً على شرطهما»!

(٢) قاله ابن الصلاح في «معرفة أنواع علم الحديث» (ص: ٢٠).

(٣) أي: ينقد الحديث المعل.

والضَّعيفُ إلّا ممن اشتَهَرَ حِذقُه ومعرفتُه بهذا الفَنِّ واطِّلاعُه عليه، وهم قليلٌ جدًّا، وأمّا سائرُ النّاسِ فإنَّهم يُعوِّلونَ على هذه الكتبِ المشارِ إليها، ويكتَفونَ بالعَزوِ إليها.

* * *

وأمّا الأحكامُ ومسائلُ الحلالِ والحرامِ: فلا ريبَ أنَّ الصَّحابةَ والتّابعِينَ ومَن بعدَهم اختلَفوا في كثيرٍ من هذهِ المسائلِ اختلافًا كثيرًا.

وكانَ في الأعصارِ المتقادِمةِ كلُّ مَن اشتَهَرَ بالعِلمِ والدِّينِ يُفتي بما ظهَرَ له أنَّه الحقُّ في هذه المسائلِ، معَ أنَّه لم يخلُ مَن كانَ يشُذُّ منهم عنِ الجمهورِ عن إنكارِ العلماءِ عليه، كما كانَ يُنكَرُ على ابنِ عبّاسٍ رضيَ اللهُ عنه مسائلُ متعدِّدةٌ يُعرَفُ بها[1]، وأُنكِرَ ذلكَ على أتباعِه أشدَّ منَ الإنكارِ عليه، حتى كانَ ابنُ جُرَيجٍ لمّا قَدِمَ البَصرةَ إذا رآهُ النّاسُ دخلَ المسجدَ الجامعَ رفعوا أيديَهم ودَعَوا اللهَ عليه[2]؛ لشُذُوذِه بتلكَ المسائلِ التي تلقّاها عن أصحابِ ابنِ عبّاسٍ، حتى إنَّه رجَعَ عن بعضِها قبلَ أن يخرُجَ من عندِهم[3]، وهذا معَ أنَّ النّاسَ حينَئذٍ كانَ الغالِبَ عليهم الدِّينُ والوَرَعُ، فكانَ ذلكَ يُريحُهم عن أن يتكلَّمَ أحدُهم بغيرِ عِلمٍ، أو يُنَصِّبَ نفْسَه للكلامِ وليسَ هو لذلكَ بأهلٍ.

ثمَّ قلَّ الدِّينُ والوَرَعُ، وكَثُرَ مَن يتكلَّمُ في الدِّينِ بغَيرِ عِلمٍ، ومَن يُنصِّبُ نفْسَه لذلكَ وليسَ هو له بأهلٍ، فلو استمرَّ الحالُ في هذه الأزمانِ المتأخِّرةِ على ما كانَ

---

(١) في النسخ: «يفرق بها»، وأراها مصحَّفة عما أثبته.

(٢) لم أجد ذلك فيما رجعت إليه من المصادر.

(٣) قال ابن جريج بعد أن روى حديث سبرة الجهني رضي الله عنه في تحريم نكاح المتعة: اشهدوا أني قد رجعت عنها، بعد ثمانية عشر حديثاً أروي فيها لا بأس فيها. أخرجه أبو عوانة في مسنده «المستخرج على صحيح مسلم» (٤٥٢٤).

عليه في الصَّدرِ الأوَّلِ؛ بحيثُ إنَّ كلَّ أحدٍ يُفتي بما يدَّعي أنَّه يظهَرُ له أنَّه الحقُّ؛ لاختلَّ به نِظامُ الدِّينِ لا محالةَ، ولَصارَ الحلالُ حرامًا والحرامُ حلالًا، ولَقالَ كلُّ مَن شاءَ ما يشاءُ، ولَصارَ دِينُنا بسببِ ذلكَ مثلَ دِينِ أهلِ الكتابَينِ من قبلِنا!

فاقتَضَت حِكمةُ اللهِ سبحانَه وتعالى أن ضبَطَ الدِّينَ وحَفِظَه، بأن نصَبَ للنّاسِ أئمّةً مجتَمَعًا على عِلمِهم ودِرايتِهم وبُلوغِهمُ الغايةَ المقصودةَ في مرتبةِ العِلمِ بالأحكامِ والفَتوى من أهلِ الرَّأيِ والحديثِ، فصارَ النّاسُ كلُّهم يعوِّلونَ في الفَتاوَى عليهم، ويرجِعونَ في معرفةِ الأحكامِ إليهم، وأقامَ اللهُ مَن يضبِطُ مذاهبَهم، ويُحرِّرُ قواعِدَهم، حتى ضُبِطَ مذهبُ كلِّ إمامٍ منهم وأصولُه، وقواعِدُه وفُصولُه، حتى تُردَّ إلى ذلكَ الأحكامُ، وينضَبِطَ الكلامُ في مسائلِ الحلالِ والحرامِ، وكانَ ذلكَ من لُطفِ اللهِ بعبادِه المؤمنِينَ، ومن جُملةِ عَوائدِه الحسَنةِ في حفظِ هذا الدِّينِ، ولولا ذلكَ لرأَى النّاسُ العَجَبَ العُجابَ، من كلِّ أحمقَ متكلِّفٍ، مُعجَبٍ برأيِه، جَريءٍ على النّاسِ وثّابٍ، فيدَّعي هذا أنّه إمامُ الأئمّةِ، ويدَّعي هذا أنَّه هادي الأمّةِ، وأنَّه هو الذي ينبغي الرُّجوعُ دُونَ النّاسِ إليه، والتَّعويلُ دونَ الخَلقِ عليه، ولكن بحمدِ اللهِ ومِنَّتِه انسدَّ هذا البابُ الذي خطَرُه عظيمٌ وأمرُه جَسِيمٌ، وانحسَمَت هذه المفاسِدُ العظيمةُ، وكانَ ذلكَ من لُطفِ اللهِ تعالى بعبادِه وجَميلِ عَوائدِه وعَواطفِه الرَّحيمةِ[1].

ومعَ هذا، فلم يزَلْ يظهرُ مَن يدَّعي بُلوغَ درجةِ الاجتهادِ، ويتكلَّمُ في العِلمِ من غيرِ تَقَيُّدٍ بأحدٍ[2] من هؤلاءِ الأئمّةِ ولا انقيادٍ.

فمنهم: مَن يَسُوغُ له ذلكَ لظُهورِ صِدقِه ممّا ادَّعاه.

---

(١) في (نسخة): «العميمة».

(٢) في (نسخة): «تقليد لأحد».

ومنهم: مَن رُدَّ عليه قولُه وكُذِّبَ في دعواه.

وأمّا سائرُ النّاسِ ممَّن لم يصِلْ إلى هذهِ الدَّرجةِ: فلا يسَعُه إلّا تقليدُ أولئِكَ الأئمّةِ، والدُّخولُ فيما دخَلَ فيه سائرُ الأمّةِ.

فإن قالَ أحمَقُ متكَلِّفٌ: كيفَ يُحصَرُ النّاسُ في أقوالِ علماءَ معيَّنِينَ[1]، ويُمنَعُ منَ الاجتهادِ، أو من تقليدِ غيرِ أولئكَ من أئمّةِ الدِّينِ؟

قِيلَ له: كما جمَعَ الصَّحابةُ رضيَ اللهُ عنهم النّاسَ على حرفٍ واحدٍ من حروفِ القرآنِ، ومنَعوا النّاسَ منَ القراءةِ بغيرِه في سائرِ البلدانِ؛ لمّا رأَوا أنَّ المصلحةَ لا تتمُّ إلّا بذلكَ، وأنَّ النّاسَ إذا تُرِكوا يقرؤونَ على حروفٍ شتّى وقعوا في أعظمِ المهالِكِ، فكذلكَ مسائلُ الأحكامِ، وفتاوَى الحلالِ والحرامِ، لو لم تُضبَطِ النّاسُ فيها بأقوالِ أئمّةٍ معدودِينَ؛ لأدَّى ذلكَ إلى فسادِ الدِّينِ، وأن يُعدَّ كلُّ أحمقَ متكلِّفٍ طلَبَت الرِّياسةَ نفْسُه من زُمرةِ المجتهِدِينَ[2]، وأن يبتَدِعَ مقالةً ينسُبُها إلى بعضِ مَن سَلَفَ منَ المتقدِّمِينَ، فربَّما كانَ بتحريفٍ يُحرِّفُه عليهم، كما وقَعَ ذلكَ كثيرًا من بعضِ الظّاهِرِيِّينَ، وربَّما كانَت تلكَ المقالةُ زلّةً من بعضِ مَن سَلَفَ، قد اجتَمَعَ على تركِها جماعةُ المسلِمِينَ[3]، فلا تقتضي المصلحةُ غيرَ ما قدَّرَهُ اللهُ وقَضَاهُ من جمعِ النّاسِ على مذاهبِ هؤلاءِ الأئمةِ المشهورِينَ رضيَ اللهُ عنهم أجمعِينَ.

فإن قِيلَ: الفرقُ بينَ جمعِ النّاسِ على حرفٍ واحدٍ منَ الأحرُفِ السَّبعةِ من أحرُفِ القرآنِ، وبينَ جمعِهم على أقوالِ فقهاءَ أربعةٍ، أنَّ تلكَ الحروفَ السَّبعةَ كانَت يُقالُ: معناها واحدٌ أو متقارِبٌ، والمعنى حاصِلٌ بهذا الحرفِ وهذا، بخلافِ

---

(١) في (نسخة): «متعينين».

(٢) في (نسخة): «من جملة المجتهدين».

(٣) في (نسخة): «من المسلمين» ولا يستقيم التبعيض هنا.

قولِ الفقهاءِ الأربعةِ، فإنَّه يجوزُ أن يتَّفِقوا على شيءٍ، ويكونُ الحقُّ خارجًا عنهم!

قِيلَ: هذا قد منعَه طائفةٌ منَ العلماءِ، وقالوا: إنَّ اللهَ لم يكنْ ليجمَعَ هذه الأمّةَ على ضَلالةٍ، وفي ذلكَ أحاديثُ متعدِّدةٌ تَعْضُدُ ذلكَ[١].

وعلى تقديرِ تسليمِه: فهذا إنَّما يقعُ نادِرًا، ولا يطَّلِعُ عليه إلّا مجتهدٌ وصلَ إلى أكثرَ ممّا وصلوا إليه، وهو أيضًا مفقودٌ أو نادِرٌ، وذلكَ المجتهدُ على تقديرِ وجودِه: فَرْضُه اتِّباعُ ما ظهرَ له منَ الحقِّ، وأمّا غيرُه ففَرْضُه: التَّقليدُ.

وتقليدُ هؤلاءِ الأئمّةِ سائغٌ بلا ريبٍ، ولا إثمَ عليهم ولا مَن قلَّدَهم ولا [على مَنْ قلَّدَ] بعضهم[٢].

[فإن قيل][٣]: فهذا يُفضي إلى اتِّباعِ الأئمّةِ على الخطأِ؟

[قيل: من][٤] لا يقولُ القولَ الحقَّ فلا بدَّ[٥] أن يكونَ مذمومًا به أحدٌ من [المختلفين][٦]، فلم يتَّفِقْ للأمّةِ الخطأُ، وأكثرُ ما يقعُ هذا ـ إن كانَ واقعًا ـ في [مسائلَ] يقلُّ وقوعها و[يندُر][٧].

---

(١) منها حديث أنس بن مالك، أخرجه ابن ماجه (٣٩٥٠)، وحديث ابن عمر، أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٨٠)، وحديث كعب بن عاصم، أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٨٢)، وغيرهم.

(٢) بياض في النسخة، ولعل المراد ما أثبته.

(٣) زيادة يقتضيها السياق أثبتها محققو هذا الكتاب قبلًا.

(٤) زيادة يقتضيها السياق، والله أعلم.

(٥) في النسخة: «لا بد».

(٦) بياض في (النسخة) أثبت ما ظهر لي في معناه، والله أعلم.

(٧) في (النسخة): «في من نقل وقوعها» ثم بياض مقدار كلمة. وبقرينة ما جاء بعدها أثبت النص، والله تعالى أعلم. والذي يريده المصنف رحمه الله هو: أن القول الحق لا بد أن يكون ضمن المذاهب =

فأمّا المسائلُ التي يحتاجُ المسلمونَ إليها عمومًا، فلا يجوزُ أن يُعتقَدَ أنَّ الأئمّةَ المقتدَى بهم في الإسلامِ في هذهِ الأعصارِ المتطاوِلةِ اجتمعوا فيها على الخطأِ، فإنَّ هذا قَدْحٌ في هذهِ الأمّةِ، قد أعاذَها اللهُ منه.

فإن قِيلَ: نحنُ نسلِّمُ لكم منعَ عمومِ النّاسِ من سلوكِ طريقة الاجتهادِ؛ لما يفضي ذلكَ إلى عِظَمِ الفسادِ، لكن لا نُسلِّمُ منعَ تقليدِ إمامٍ متَّبَعٍ من أئمّةِ المجتهدِينَ غيرِ هؤلاءِ الأئمّةِ المشهورةِ؟

قِيلَ: قد نبهنا[1] على علّةِ المنعِ من ذلكَ، وهو أنَّ مذاهبَ غيرِ هؤلاءِ لم تشتهِرْ ولم تنضَبِطْ، فربَّما نُسِبَ إليهم ما لم يقولوه، أو فُهِمَ عنهم ما لم يريدوه، وليسَ لمذاهبِهم مَن يذبُّ عنها، وينبِّهُ على ما يقعُ مِنَ الخَللِ فيها، بخلافِ هذهِ المذاهبِ المشهورةِ.

* * *

فإن قِيلَ: ما تقولونَ في مذهبِ إمامٍ غيرِهم قد دُوِّنَ مذهبُه وضُبِطَ وحُفِظَ كما حُفِظَ مذاهبُ هؤلاءِ؟

قِيلَ: أوّلًا: هذا لا يُعلَمُ وجودُه الآنَ، وإنَّ فُرِضَ وقوعُه الآنَ وسُلِّمَ جوازُ اتِّباعِه والانتسابِ إليه؛ فإنَّه لا يجوزُ ذلكَ إلّا لمَن أظهرَ الانتسابَ إليه والفُتيا بقولِه والذَّبَّ عن مذهبِه.

فأمّا مَن أظهرَ الانتسابَ إلى بعضِ الأئمّةِ المشهورِينَ، وهو في الباطِنِ منتَسِبٌ إلى غيرِهم، معتَقِدٌ لمذهبٍ سواه، فهذا لا يسوغُ له ذلكَ البتَّةَ، وهو من نوعِ النِّفاقِ والتَّقِيَّةِ، ولاسيَّما إن أخذَ منَ الأموالِ المختصّةِ بأصحابِ ذلكَ الإمامِ المشهورِ منَ

= الأربعة، ولذا فإن الأمة بتقليدهم لم تتفق على الخطأ، وإن قُدِّر وجود قول أرجح خارج مذاهبهم فهو في المسائل التي يقل وقوعها ويندر.

(١) تصحفت إلى «بينها»، لذلك كتب أحدهم في الحاشية: «لعله: قد بيّنا علة» وما أثبتُّه أقرب، والله أعلم.

الأوقافِ أو غيرِها، أو لبَّسَ على النّاسِ فأوهمَهم أنَّ ما يُفتي به من مذهبِ مَن ينتسِبُ إليه في الباطِنِ هو مذهبُ ذلكَ الإمامِ المشهورِ، فإن هذا غيرُ سائغٍ قطعًا، وهو تلبيسٌ على الأمّةِ، وكذبٌ على علماءِ الأمّةِ، ومَن نَسَبَ إلى أئمّةِ الإسلامِ ما لم يقولوه، أو ما عُلِمَ أنَّهم يقولونَ خِلافَه فإنَّه كاذبٌ يستحِقُّ العقوبةَ على ذلكَ، وكذلكَ إن صنَّفَ كتابًا على مذهبِ إمامٍ معيَّنٍ، وذكرَ فيه ما يعتقِدُه من قولِ مَن يُنسَبُ إليه في الباطِنِ من غَيرِ نسبتِه إلى قائلِه، وكذلكَ لو كانَ الكتابُ المصنَّفُ لا يختصُّ بمذهبٍ معيَّنٍ إلّا أنَّ مصنِّفَه في الظّاهرِ ينتَسِبُ إلى مذهبِ إمامٍ معيَّنٍ وفي الباطنِ إلى غيرِه، فيذكُرُ فيه أقوالَ مَن ينتَسِبُ إليه باطنًا من غَيرِ بيانٍ لمخالفتِها لمذهَبِ مَن ينتَسِبُ إليه ظاهرًا، فكلُّ هذا إبهامٌ وتدليسٌ غيرُ جائزٍ، وهو يقتضي خَلْطَ مذاهبِ العلماءِ واضطرابَها، فإنِ ادَّعى معَ ذلكَ الاجتهادَ كانَ أدهى وأمرَّ، وأعظمَ فسادًا وأكثرَ عِنادًا، فإنَّه لا يسوغُ ذلكَ مطلقًا إلّا لمَن كمُلَت فيه أدواتُ الاجتهادِ، من معرفةِ الكتابِ والسُّنّةِ، وفتاوَى الصَّحابةِ والتّابعِينَ، ومعرفةِ الإجماعِ والاختلافِ وبقيّةِ شرائطِ الاجتهادِ المعروفةِ.

وهذا يدَّعي اطِّلاعًا كثيرًا على السُّنّةِ، ومعرفةَ صحيحِها من سقيمِها، ومعرفةَ مذاهبِ الصَّحابةِ والتّابعِينَ والآثارِ المنقولةِ عنهم في ذلكَ.

ولهذا كانَ الإمامُ أحمدُ يشدِّدُ أمرَ الفُتيا، ويمنعُ منها مَن يحفظُ مئةَ ألفِ حديثٍ ومئتي ألفِ حديثٍ وأكثرَ من ذلكَ[1]، وعلامةُ صحّةِ دعواه: أن يستقِلَّ بالكلامِ في المسائلِ كما استقلَّ غيرُه منَ الأئمّةِ، ولا يكونَ كلامُه مأخوذًا من كلامِ غَيرِه.

---

(١) قال الحسن بن إسماعيل: قيل لأبي عبد الله أحمد بن حنبل وأنا أسمع: كم يكفي الرجل من الحديث حتى يمكنه أن يفتي، يكفيه مئة ألف؟ قال: لا. قيل: مئتا ألف؟ قال: لا. قيل: ثلاثمئة ألف؟ قال: لا؟ قيل: أربعمئة ألف؟ قال: لا. قيل: خمسمئة ألف؟ قال: أرجو. ذكره ابن أبي يعلى في «طبقات الحنابلة» (١/ ٣٥٠). وهذه الأعداد يَدخلُ فيها المرفوع والموقوف والمقطوع والوجوه والطرق.

فأمّا مَن اعتمدَ على مجرَّدِ نقلِ كلامِ غيرِه، إمّا حُكمًا، أو حُكمًا ودليلًا: كانَ غايةُ جُهدِه أن يفهمَه وربّما لم يفهمْه جيدًا، أو حرَّفَه وغيَّرَه، فما أبعدَ هذا عن درجةِ الاجتهادِ، كما قِيلَ:

فـدَعْ عنـكَ الكِتابةَ لَسْـتَ منها ولو سَـوَّدْتَ وَجهَـكَ بالمِدادِ[1]

* * *

فإن قِيلَ: فما تقولونَ في نَهيِ الإمامِ أحمدَ وغيرِه منَ الأئمّةِ عن تقليدِهم وكتابةِ كلامِهم؟ وقولِ الإمامِ أحمدَ: لا تكتبْ كلامي ولا كلامَ فلانٍ ولا فلانٍ، وتعلَّمْ كما تعلَّمْنا[2]؟ وهذا كثيرٌ موجودٌ في كلامِهم؟.

قِيلَ: لا ريبَ أنَّ الإمامَ أحمدَ رضيَ اللهُ عنه كانَ ينهَى عن آراءِ الفُقهاءِ والاشتغالِ بها حِفظًا وكتابةً، ويأمرُ بالاشتغالِ بالكتابِ والسُّنّةِ حِفظًا وفَهمًا وكِتابةً ودِراسةً، وبكتابةِ آثارِ الصَّحابةِ والتّابعِينَ دونَ كلامِ مَن بعدَهم، ومعرفةِ صحّةِ ذلكَ من سقيمِه، والمأخوذِ منه و[الـ]ـقولِ[3] الشّاذِّ المطَّرَحِ منه، ولا ريبَ أنَّ هذا ممّا يتعيَّنُ الاهتمامُ به والاشتغالُ بتعلُّمِه أوَّلًا قبلَ غيرِه، فمَن عرَفَ ذلكَ وبلَغَ النِّهايةَ من معرفتِه كما أشارَ إليه الإمامُ أحمدُ فقد صارَ علمُه قريبًا من علمِ أحمدَ، فهذا لا حَجْرَ

---

(١) قيل هذا البيت مع بيتين آخرين في صالح ابن شيرزاد، قاله باذنجانة الكاتب. ذكره ابن الصابئ في «الهفوات النادرة» (ص: ٢٧٤).

(٢) الذي نقله أبو داود عن الإمام أحمد في «مسائله» (١٧٨٣): «أنا أكره أن يُكتب عني رأيٌ»، وقال لما سأله أبو داود (١٧٩٣): أليس الأوزاعي هو أتبع من مالك؟ قال: لا تقلد دينك أحداً من هؤلاء، ما جاء عن النبي ﷺ وأصحابه فخذ به، ثم التابعين بعدُ: الرجل فيه مخير. أما قوله: «وتعلم كما تعلمنا» فهذا ذكره ابن تيمية رحمه الله وهو في «مجموع الفتاوى» (٢٠/ ٢١١).

(٣) في (النسخ): «منه قول». والإضافة يقتضيها السياق.

عليه، ولا يتوجَّهُ الكلامُ فيه[١]، إنَّما الكلامُ: مَنْعُ[٢] مَن لم يبلغْ هذه الغايةَ، ولا ارتقى إلى هذه النِّهايةِ، ولا فَهِمَ من هذا إلّا النَّزرَ اليسيرَ، كما هو حالُ أهلِ هذا الزَّمانِ، بل هو حالُ أكثرِ النّاسِ منذُ أزمانٍ، معَ دعوى كثيرٍ منهم الوصولَ إلى الغاياتِ والانتهاءَ إلى النِّهاياتِ، وأكثرُهم لم يرتقوا عن درجةِ البداياتِ.

* وإذا أردتَ معرفةَ ذلكَ وتحقيقَه:

فانظرْ إلى علمِ الإمامِ أحمدَ رضيَ اللهُ عنه بالكتابِ والسُّنّةِ:

أمّا علمُه بالكتابِ: فإنَّه رضيَ اللهُ عنه كانَ شديدَ العِنايةِ بالقرآنِ وفهمِه وعلومِه، وكانَ يقولُ لأصحابِه: قد تركَ النّاسُ فهمَ القرآنِ[٣]! على وجهِ الذَّمِّ لهم.

وقد جمعَ في القرآنِ كثيرًا، من ذلكَ: كتابُ النّاسخِ والمنسوخِ، والمقدَّمِ والمؤخَّرِ، وجَمَعَ التَّفسيرَ الكَبيرَ[٤]، وهو محتوٍ على كلامِ الصَّحابةِ والتّابعِينَ في التَّفسيرِ، وتفسيرُه من جنسِ التَّفاسيرِ المنقولةِ عنِ السَّلفِ من تفاسيرِ شيوخِه، كعبدِ الرَّزّاقِ، ووكيعٍ، وآدمَ بنِ أبي إياسٍ، وغيرِهم، ومن تفاسيرِ أقرانِه كإسحاقَ وغيرِه، وممَّن بعدَه ممَّن هو على منوالِه كالنَّسائيِّ، وابنِ ماجَه، وعبدِ بنِ حُمَيدٍ، وابنِ أبي حاتمٍ، وغيرِهم من أهلِ الحديثِ، وكلُّ هؤلاءِ جمعوا الآثارَ المرويّةَ عنِ السَّلفِ في التَّفسيرِ من غيرِ زيادةِ كلامٍ من عندِهم.

وأمّا علمُه رضيَ اللهُ عنه بالسُّنّةِ: فهذا أمرٌ اشتَهرَ وذاعَ، ووقعَ عليه الوِفاقُ

---

(١) لعلَّ صواب «فيه»: «إليه»، والله أعلم.

(٢) في (نسخة): «في منع».

(٣) «مسائل ابن هانئ» (٥١٣).

(٤) هذه الكتب في عداد المفقود.

والإجماعُ، وأنَّه حاملُ لِواءِ السُّنّةِ والحديثِ، وأعلمُ النّاسِ في زمانِه بكلامِ النَّبيِّ ﷺ وأصحابِه والتّابعِينَ.

واختصَّ عن أقرانِه من ذلكَ بأمورٍ متعدِّدةٍ:

منها: سَعةُ الحفظِ وكثرتُه، وقد قيلَ: إنَّه كانَ يحفظُ ثلاثَمئةِ ألفِ حديثٍ[١].

ومنها: معرفةُ صحيحِه من سقيمِه، وذلكَ تارةً بمعرفةِ الثِّقاتِ منَ المجروحِينَ، وإليه كان نهايةُ المنتهى في علمِ الجرحِ والتَّعديلِ، وتارةً معرفةُ طُرُقِ الحديثِ واختلافِه وهُوَ معرفةُ عِلَلِ الحديثِ، وكانَ أيضًا نهايةً في ذلكَ، وهذا وإن شارَكَه كثيرٌ منَ الحفّاظِ في معرفةِ عِلَلِ الحديثِ[٢] المرفوعةِ فلم يَصِلْ أحدٌ منهم إلى معرفتِه بعِلَلِ الآثارِ الموقوفةِ، ومَن تأمَّلَ كلامَه في ذلكَ رأى العَجَبَ، وجزَمَ بأنَّه قلَّ مَن وصلَ إلى فهمِه في هذا العِلمِ رضيَ اللهُ عنه.

ومنها: معرفةُ فقهِ الحديثِ وفهمِه وحلالِه وحرامِه ومعانيه، وكانَ أعلمَ أقرانِه بذلكَ، كما شهِدَ به الأئمةُ من أقرانِه، كإسحاقَ وأبي عُبيدٍ وغَيرِهما[٣]، ومَن تأمَّلَ كلامَه في الفقهِ وفَهِمَ مآخِذَه ومداركَه فيه علِمَ قوّةَ فهمِه واستنباطِه، ولِدقّةِ كلامِه في ذلكَ ربَّما صَعُبَ فهمُه على كثيرٍ من أئمّةِ أهلِ التَّصانيفِ ممَّن هو على مذهبِه، فيعدِلونَ عن مآخِذِه الدَّقيقةِ إلى مآخِذَ أُخرَ ضعيفةٍ يتلقَّونَها عن غيرِ أهلِ مذهبِه، ويقعُ بسببِ ذلكَ خللٌ كثيرٌ في فَهْمِ كلامِه وحملٌ له على غيرِ محامِلِه، ولا يحتاجُ الطّالبُ لمذهبِه إلّا إلى الإمعانِ وفهمِ كلامِه.

---

(١) هذا عن بهز بن أسد وعفان وروح بن عبادة فقط، أما حفظه فكان ألف ألف حديث. انظر: «مناقب الإمام أحمد» لابن الجوزي (ص: ٣٣، وص: ٧٣).

(٢) كذا في النسخ، والمراد: «الأحاديث».

(٣) انظر: «تقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (ص: ٢٩٣).

وقد رُئِيَ من فقهِه وعلمِه ما يُقضى منه العَجَبُ، وكيفَ لا ولم يكنْ مسألةٌ سبقَ للصَّحابةِ والتّابعِينَ ومَن بعدَهم فيها كلامٌ إلّا وقد علِمَه وأحاطَ به، وفَهِمَ مآخِذَ تلكَ المسألةِ وفقهَها، وكذلكَ كلامَ عامّةِ فقهاءِ الأمصارِ وأئمّةِ البلدانِ مما[١] يحيطُ به معرفتُه، كمالكٍ والأوزاعيِّ والثَّوريِّ وغيرِهم، وقد عُرِضَ عليه عامّةُ علمِ هؤلاءِ الأئمّةِ وفتاويهم فأجابَ عنها، تارةً بالموافقةِ، وتارةً بالمخالَفةِ، فإنَّ مهنَّا بنَ يحيى الشّاميَّ عَرَضَ عليه عامّةَ مسائلِ الأوزاعيِّ وأصحابِه فأجابَ عنها[٢]، وجماعةٌ عَرضوا عليه مسائلَ مالكٍ وفتاويَه منَ الموطّأِ وغيرِه فأجابَ عنها، وقد نقلَ ذلكَ عنه حنبلٌ وغيرُه[٣]، وإسحاقُ بنُ منصورٍ عَرَضَ عليه عامّةَ مسائلِ الثَّوريِّ فأجابَ عنها[٤].

وكانَ أوَّلًا قد كتَبَ كُتُبَ أصحابِ أبي حنيفةَ وفهمَها وفِهِمَ مآخِذَهم في الفقهِ ومداركَهم[٥]، وكانَ قد ناظرَ الشّافعيَّ وجالَسَه مدّةً وأخذَ عنه، وشهِدَ له الشّافعيُّ رضيَ اللهُ عنه تلكَ الشَّهاداتِ العظيمةَ بالفقهِ والعِلمِ[٦]، وأحمدُ معَ هذا شابٌّ لم يتكَهَّلْ، ومعلومٌ أنَّ مَن فَهِمَ عِلْمَ هذه العلومِ كلِّها وبرَعَ فيها فأسهلُ شيءٍ عندَه معرفةُ الحوادثِ والجوابُ عنها على قياسِ تلكَ الأصولِ المضبوطةِ والمآخِذِ المعروفةِ،

---

(١) في «النسخ»: «كما» وأُراها مصحفة عما أثبتُّه.

(٢) والذي ذكره ابن تيمية: أن عبد الملك الميموني كان يسأل الإمام أحمد عن مسائل الأوزاعي. «مجموع الفتاوى» (٣٤/ ١١٤).

(٣) كأحمد بن الفرج. «مجموع الفتاوى» (٣٤/ ١١٤).

(٤) انظر: «مجموع الفتاوى» (٣٤/ ١١٤).

(٥) انظر: «مناقب الإمام أحمد» لابن الجوزي (ص: ٧٩).

(٦) قال رضي الله عنه: «خرجت من بغداد، وما خلَّفت بها أفقه ولا أزهد ولا أورع ولا أعلم من أحمد بن حنبل». رواه الحاكم في «معرفة علوم الحديث» (ص: ٧٠) طبعة معظم حسين.

ومن هنا قالَ عنه أبو ثَورٍ: كانَ أحمدُ إذا سُئِلَ عن مسألةٍ كأنَّ عِلمَ الدُّنيا لوْحٌ بينَ عينَيهِ[1]، أو كما قالَ.

ولا نعلَمُ سنّةً صحيحةً عنِ النَّبيِّ ﷺ إلّا وقد أحاطَ بها عِلماً، وكانَ من أشدِّ النّاسِ اتِّباعًا للسُّنّةِ إذا صحَّت ولم يعارِضْها معارِضٌ قويٌّ، وإنَّما ترَكَ الأخذَ بما لم يصحَّ أو بما عارَضَه معارِضٌ قويٌّ جدًّا.

وكانَ السَّلفُ رضيَ اللهُ عنهم لقُربِ عهدِهم بزمَنِ النُّبوّةِ وكثرةِ ممارستِهم لكلامِ الصَّحابةِ والتّابعِينَ ومَن بعدَهم يعرِفونَ الأحاديثَ الشّاذّةَ التي لا يُعمَلُ بها ويطَّرحونَها، ويكتفونَ بالعملِ بما مضى عليه السَّلفُ، ويعرِفونَ من ذلكَ ما لم يعرِفْه مَن بعدَهم ممَّن لم تبلُغْه السُّننُ إلّا من كُتبِ الحديثِ لطولِ العهدِ وبُعدِه.

* * *

إذا فهمتَ هذا وعلمتَه: **فهذه نصيحةٌ لكَ أيُّها الطّالبُ لمذهبِ هذا الإمامِ** أؤدِّيها إليكَ خالصةً لوجهِ اللهِ تعالى، فإنَّه «لا يؤمنُ أحدُكم حتى يُحبَّ لأخيهِ ما يحبُّ لنَفْسِه»[2]:

إيّاكَ ثمَّ إيّاكَ ثمَّ إيّاكَ أن تحدِّثَ نَفْسَكَ أنَّك قد اطَّلعتَ على ما لم يطَّلعْ عليه هذا الإمامُ، أو وَصلتَ منَ الفهمِ إلى ما لم يصلْ إليه هذا الذي ظهرَ فضلُ فهمِه على مَن بعدَه من أُولي الأفهامِ، ولتكنْ همَّتُكَ كلُّها مجموعةً على فهمِ ما أشارَ إليه، وتعلُّمِ ما أرشدَ إليه منَ الكتابِ والسُّنّةِ على الوجهِ الذي سبقَ شرحُه، ثَم بعدَ ذلكَ لِيكنْ همُّكَ في فهمِ كلامِ هذا الإمامِ في جميعِ مسائلِ العِلمِ:

---

(١) انظر: «مناقب الإمام أحمد» لابن الجوزي (ص: ١٦٦)، ولفظه: كنتَ إذا رأيتَ أحمد بن حنبل خيِّل إليك أن الشريعة لوحٌ بين عينيه.

(٢) أخرجه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥) من حديث أنس رضي الله عنه.

من مسائلِ الإسلامِ، أعني: **مسائلَ الحلالِ والحرامِ**.

وفي عِلمِ الإيمان[١]، أعني: **مسائلَ الإيمانِ باللهِ وملائكتِه وكتبِه ورسلِه واليومِ الآخرِ**، وهو العِلمُ المسمَّى في اصطلاحِ كثيرٍ منَ العلماءِ **بعلمِ السُّنّةِ**، فإنَّ هذا الإمامَ كانَ غايةً في هذا العِلمِ، وقد امتُحِنَ بسببِ مسائلَ منه، وصبرَ للهِ على تلكَ المحنةِ، ورضيَ المسلمونُ كلُّهم بقولِه الذي قالَه ومَقامَه الذي قامِه، وشهدوا أنَّه إمامُ السُّنّةِ، وأنَّه لولاه لكفرَ النّاسُ، فمَن كانَت هذه منزلتُه في عِلمِ السُّنّةِ كيفَ يُحتاجُ إلي تلقِّي هذا العِلمِ من كلامِ أحدٍ منَ العلماءِ غيرِه، لاسيَّما لمَن ينتسبُ إلى مذهبِه؟ فليُتمسَّكْ بكلامِه في عامّةِ هذا البابِ، وليُعرَضْ عمّا أُحدِثَ بعدَه من فضولِ المسائلِ التي أُحدِثَت وليسَ للمسلمِينَ بها حاجةٌ، بل تَشْغَلُ عنِ العِلمِ النّافعِ، وتُوقِعُ العداوةَ والبغضاءَ بينَ المسلمِينَ، وتُوجِبُ كثرةَ الجدلِ والخصوماتِ في الدِّين ممّا هو منهيٌّ عنه عندَ هذا الإمامِ وغيرِه منَ السَّلفِ الماضي.

وكذلكَ **عِلمُ الإحسانِ**، وهو عِلمُ المراقبةِ والخشيةِ: كانَ هذا الإمامُ فيه غايةً كما كانَ في عِلمِ الإسلامِ والإيمانِ آيةً، ولكن كانَ الغالبُ عليه في هذا العِلمِ: تحقيقَ الأعمالِ دونَ تزويقِ الأحوالِ، فلذلكَ كانَ لا يُطلِقُ منه إلّا المأثورَ عن السَّلفِ دونَ ما أخذَتْه المتأخِّرونَ عن الخَلفِ.

ولقد كانَ رضيَ اللهُ عنه في جميعِ علومِه مستنِدًا[٢] بالسُّنّةِ، لا يرى إطلاقَ ما لم يطلِقْه السَّلفُ الصَّالحُ من الأقوالِ، ولا سيَّما في عِلمِ الإيمانِ والإحسانِ.

---

(١) تصحفت في «النسخ» إلى: «الآفاق»، ونبه على تصويبه إلى «الإيمان» محققا طبعة المجموعة العلمية.

(٢) في حاشية (نسخة): «لعله: متقيداً».

وأمّا عِلمُ الإسلامِ: فكانَ يجيبُ فيه عن الحوادثِ الواقعةِ ممّا لم يسبِقْ فيها كلامٌ للحاجةِ إلى ذلكَ، معَ نهيِه لأصحابِه أن يتكلَّموا في مسألةٍ ليس لهم فيها إمامٌ[1]، وإنَّما كانَ يجيبُ غالبًا ممّا سبقَ الكلامُ فيه، أو فيما يُحتاجُ إليه ولا بُدَّ، لوقوعِه ومعرفةِ حُكمِه، فأمَّا ما يولِّدُه الفقهاءُ من المسائلِ التي لا تقعُ أو لا تكادُ تقعُ إلّا نادرًا، فكانَ كثيرًا ينهى عنِ الكلامِ فيها؛ لأنَّه قليلُ الفائدةِ ويشغَلُ عمّا هو أهمُّ منه ممّا يُحتاجُ إلى معرفتِه.

وكانَ رضيَ اللهُ عنه لا يرَى كثرةَ الخِصامِ والجِدالِ، ولا توسِعةَ القِيلِ والقالِ في شيءٍ منَ العلومِ والمعارفِ والأحوالِ، إنَّما يرى الاكتفاءَ في ذلكَ بالسُّنّةِ والآثارِ، ويحثُّ على فهمِ معاني ذلكَ من غيرِ إطالةٍ للقولِ ولا إكثارٍ، ولم يتركْ توسعةَ الكلامِ بحمدِ اللهِ عجزًا ولا جهلًا، ولكن وَرَعًا وفضلًا واكتفاءً بالسُّنّةِ فإنَّ فيها كفايةً، واقتداءً بالسَّلفِ الصّالحِ منَ الصَّحابةِ والتّابعِينَ، فبالاقتداءِ بهم تحصُلُ الهدايةُ.

* * *

فإن أنتَ قبلتَ هذه النَّصيحةَ، وسلكتَ الطَّريقةَ الصَّحيحةَ: فلتكنْ همَّتُكَ حفظَ ألفاظِ الكتابِ والسُّنّةِ، ثمَّ الوقوفَ على معانيهما بما قالَه سلفُ الأمّةِ وأئمّتُها، ثمَّ حفظَ كلامِ الصَّحابةِ والتّابعِينَ وفتاويهم وكلامِ أئمّةِ الأمصارِ، ومعرفةَ كلامِ الإمامِ أحمدَ وضبطَه بحروفِه أو[2] معانيه، والاجتهادَ على فهمِه ومعرفتِه، وأنتَ إذا بلغتَ من هذا: الغايةَ، فلا تظنَّ في نفسِكَ أنَّكَ بلغتَ النِّهايةَ، وإنَّما أنتَ طالبٌ متعلِّمٌ من جملةِ الطَّلبةِ المتعلِّمِينَ، ولو كنتَ بعدَ معرفتِكَ ما عرفتَ موجودًا في زمنِ الإمامِ

---

(١) قال الميموني: قال لي أحمد بن حنبل: يا أبا الحسن، إياك أن تتكلم في مسألة ليس لك فيها إمام. أخرجه ابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد» (ص: ٢٤٥).

(٢) في (نسخة): «و».

أحمدَ مَا كنتَ حينَئذٍ معدودًا من جملةِ الطّالبينَ! فإن حدَّثتَ نفْسَكَ بعدَ ذلكَ أنَّكَ قد انتهيتَ أو وصلتَ إلى ما وصلَ إليه السَّلفُ فبئسَ ما رأيتَ.

وإيّاكَ ثمَّ إيّاكَ أن تترُكَ حفظَ هذه العلومِ المشارِ إليها، وضبطَ النُّصوصِ والآثارِ المعوَّلِ عليها، ثمَّ تشتغلَ بكثرةِ الخِصامِ والجِدالِ، وكثرةِ القيلِ والقالِ، وترجيحِ بعضِ الأقوالِ على بعضِ الأقوالِ، ممّا استنتجتَه من عقلِك[1]، ولا تعرِفُ في الحقيقةِ مَنِ القائلُ لتلكَ الأقوالِ، وهل هو منَ السَّلفِ المعتبَرِ بأقوالِهم، أو من غيرِ أهلِ الاعتدالِ!

وإيّاكَ أن تتكلَّمَ في كتابِ اللهِ أو في حديثِ رسولِ اللهِ بغيرِ ما قالَه السَّلفُ، كما أشارَ إليه إمامُكَ، فيفوتَكَ العِلمُ النّافعُ وتضيعَ أيّامُكَ، فإنَّ العِلمَ النّافعَ إنَّما هو ما ضُبِطَ في الصُّدورِ، وهو عنِ الرَّسولِ أو عنِ السَّلفِ الصّالحِ مأثورٌ، وليسَ العِلمُ النّافعُ بـ: أرأيتَ[2] وأرَأيتَ، فقد نهى عن ذلكَ الصَّحابةُ[3] ومَن بعدَهم ممَّن إذا اقتدَيتَ بهم فقد اهتديت[4]، وكيفَ يصحُّ لكَ دعوى الانتسابِ إلى إمامٍ وأنتَ على مخالفتِه مصِرٌّ، ومن علومِه وأعمالِه وطريقتِه تَفِرُّ؟!

واعلمْ وفَّقَكَ اللهُ أنَّك كلمّا اشتغلتَ بتلكَ الطَّريقةِ، وسلكتَ السَّبيلَ الموصِلةَ إلى اللهِ على الحقيقةِ، واستعملتَ للخشيةِ نفْسَها المُراقِبَةَ، ونظرْتَ في أحوالِ مَن سلَفَ منَ الأئمّةِ بإدمانِ النَّظرِ في أحوالِهم بحُسنِ العاقِبةِ، ازدَدتَ باللهِ وبأمرِه عِلمًا،

---

(١) في (نسخة): «مما استحسنه عقلك».

(٢) في (نسخة): «بأرتِ»!! والتصويب من أثر ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) أخرج الطبراني في «الكبير» (٨٥٥٠) من كلام ابن مسعود رضي الله عنه: «إياكم وأرأيت وأرأيت، فإنما هلك من كان قبلكم بأرأيت وأرأيت».

(٤) تصحفت في (نسخة) إلى: «اقتديت».

وازدَدتَ لنَفْسِكَ احتقارًا وهَضمًا، وكانَ لكَ من نفْسِكَ شُغلٌ شاغِلٌ عن أن تتفرَّغَ لمخالَفةِ المسلمِينَ، ولأن تكونَ حاكمًا على جميعِ فِرَقِ المؤمنِينَ، كأنَّكَ قد أُوتيتَ عِلمًا لم يُؤتَوه، أو وصلتَ إلى مقامٍ لم يصِلوه، فرَحِمَ اللهُ مَن أساءَ الظَّنَّ بنفْسِه عِلمًا وعَملًا وحالًا، وأحسَنَ الظَّنَّ بمَن سلَفَ، وعَرَفَ من نفْسِه نقصًا ومنَ السَّلفِ كمالًا، ولم يهجُمْ على مخالَفةِ أئمّةِ الدِّينِ، ولا سيَّما مثلُ الإمامِ أحمدَ، وخصوصًا إن كانَ إليه منَ المنتَسِبِينَ.

وإن أنتَ أبيتَ النَّصيحةَ، وسلكتَ طريقةَ الجِدالِ والخِصامِ، وارتكبتَ ما نُهيتَ عنه منَ التَّشَدُّقِ والتَّفيهُقِ وتشقيقِ[1] الكلامِ، وصارَ شغلُكَ الرَّدَّ على أئمّةِ المسلمِينَ، والتَّفتيشَ[2] عن عيوبِ أئمّةِ الدِّينِ، فإنَّكَ لا تزدادُ بنفْسِكَ إلّا عُجْبًا، ولا لطَلَبِ العُلوِّ في الأرضِ إلّا حُبًّا، ولا منَ الحقِّ إلّا بُعدًا، ومنَ الباطِلِ إلّا قُربًا، وحينَئذٍ فتقولُ: ولِمَ لا أقولُ وأنا أولى من غَيري بالقَولِ والاختيارِ؟ ومَن أعلمُ منِّي؟ ومَن أفقَهُ منِّي؟ كما وردَ الحديثُ: هذا يقولُه من هذهِ الأمّةِ مَن هو وَقودُ النّارِ[3]، أعاذَنا اللهُ وإيّاكم من هذهِ الفضائحِ، ووفَّقَنا وإيّاكم لقَبولِ النَّصائحِ، ولاقتفاءِ طريقِ السَّلفِ الصَّالحِ، بمنِّه وكرَمِه، إنَّه أرحمُ الرّاحمِينَ وأكرمُ الأكرمِينَ.

* * *

---

(١) في (نسخة): «وشقشقة».

(٢) في (نسخة): «والتنقش».

(٣) أخرج البزار (٢٨٣)، واللفظ له، والطبراني في «الأوسط» (٦٢٤٢) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يظهر الإسلام حتى تخوضَ الخيلُ البحار، وحتى يختلف التجارُ في البحر، ثم يظهر قوم يقرؤون القرآن يقولون: من أقرأ منا؟ من أفقه منا؟» ثم قال رسول الله ﷺ: «وهل في أولئك من خير»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «أولئك وقود النار، أولئك منكم من هذه الأمة». وأخرج هذه القصة البزار (١٣٢٣)، والطبراني في «الكبير» (١٣٠٩١) من حديث ابن عباس، وأخرجها الطبراني في «الكبير» ٢٥ (٤٣) من حديث أم الفضل.

فإن أبيتَ إلّا الإصرارَ على أنَّ العِلمَ والفِقهَ هو نقلُ الأقوالِ، وكثرةُ البَحثِ عليها والجِدالِ، وأنَّ مَن اتَّسعَ في ذلكَ ونقَّبَ عن عيوبِ الأئمّةِ بالنَّظرِ والاستدلالِ أعلمُ ممَّن لم يكنْ كذلكَ، وأنَّ مَن قلَّ كلامُه في هذا فليسَ هنالِكَ.

فنقولُ لكَ: من هنا اعتقدَ طوائفُ من أهلِ الضَّلالِ أنَّ الخَلَفَ أعلمُ منَ السَّلفِ؛ لما امتازوا به من كثرةِ القيلِ والقالِ، ونحنُ بَرَاءٌ إلى اللهِ من هذهِ الأقوالِ، ولو كانَ الأمرُ على هذا لكانَ شيوخُ المعتزِلةِ والرّافضةِ أعلمَ من سَلَفِ الأمّةِ وأئمَّتِها.

وتأمَّلْ كلامَ شيوخِ المعتزلةِ كعبدِ الجبّارِ بنِ أحمدَ الهَمَذَانيِّ وغيرِه، وكثرةَ بحثِهِ وجِدالِه، واتِّساعَهُ في كثرةِ مقالِه، وكذلكَ مَن كانَ من أهلِ الكلامِ من سائرِ الطَّوائفِ، وكذلكَ المصنِّفونَ في مسائل[1] الكلامِ وفي الفقهِ من فقهاءِ الطَّوائفِ يُطيلونَ الكلامَ في كلِّ مسألةٍ إطالةً مفرِطةً جدًّا، ولم يتكلَّمْ أئمَّتُهم في تلكَ المسائلِ بتقريرِها وكلامِهم فيها: هل يجوزُ أن يُعتقَدَ بذلكَ فضلُهم على أئمّةِ الإسلامِ، مثلَ: سعيدِ بنِ المسيِّبِ، والحسنِ، وعطاءٍ، والنَّخعيِّ، والثَّوريِّ، واللَّيثِ، والأوزاعيِّ، ومالكٍ، والشّافعيِّ، وأحمدَ، وإسحاقَ، وأبي عُبيدٍ ونحوِهم؟!!

بلِ التّابعونَ اتسعوا في المقالِ أكثرَ منَ الصَّحابةِ بكثيرٍ، فهل يعتقدُ مسلمٌ أنَّ التّابعِينَ أعلمُ من علماءِ الصَّحابةِ؟!

وتأمَّلْ قولَ النَّبيِّ ﷺ: «الإيمانُ يَمانٍ، والفِقهُ يمانٍ، والحكمةُ يمانيةٌ»[2]، قالَه في مدحِ أهلِ اليَمنِ وفضلِهم، فشهِدَ لهم بالفقهِ والإيمانِ ونسبَها إليهم لبلوغِهم الغايةَ في الفقهِ والإيمانِ والحكمةِ، ولا تُعْلَمُ[3] طائفةٌ من علماءِ المسلمِينَ أقلَّ كلامًا من

---

(١) تصحفت في النسخ إلى: «سائر» ولا يستقيم بها المعنى، فلعل الصواب ما أثبتّه.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٩٩) ومسلم (٥٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) في (نسخة): «نعلم».

أهلِ اليَمنِ، ولا أقلَّ جدالًا منهم سلَفًا وخَلَفًا[١]، فدلَّ على أنَّ العِلمَ والفقهَ الممدوحَ في لسانِ الشّارعِ هو العِلمُ بالله المؤدِّي إلى حبِّه وخشيته وإجلالِه وتعظيمِه، وهما[٢] معَ العِلمِ بما يحتاجُ إليه من أوامرِه ونواهِيه كما كانَ عليه علماءُ أهلِ اليَمنِ قديمًا، مثلُ أبي موسى الأشعريِّ وأبي مسلمٍ الخَولانيِّ وأُويسٍ وغيرِهم، دونَ ما زادَ على ذلكَ من ضربِ أقوالِ النّاسِ بعضِها ببعضٍ، وكثرةِ التَّفتيشِ عن عوراتِهم وزلّاتِهم.

وهَبْ أنَّ أكثرَ الأئمّةِ غَلِطوا في مسائلَ يسيرةٍ، ممّا لا تقدَحُ في إمامتِهم وعلمِهم، فكانَ ماذا؟ فلقد انغمَرَ ذاكَ في محاسنِهم وكثرةِ صوابِهم، وحسنِ مقاصدِهم، ونصرِهم للدِّينِ.

والانتصابُ للتَّنقيبِ عن زلّاتِهم غيرُ محمودٍ ولا مشكورٍ، لاسيَّما في فضولٍ في المسائلِ التي لا يضرُّ فيها الخطأُ، ولا ينفَعُ فيها كشفُ خطَئِهم وبيانُه، وكذلكَ كثرةُ البحثِ عن فُضُولِ علومٍ لا تنفعُ في الدِّينِ، وتَشْغَلُ[٣] عنِ اللهِ والاشتغالِ به، وتقسّي القلبَ عن ذكرِه، وتُوجِبُ لأهلِها حبَّ العلوِّ والرِّئاسةِ على الخلقِ، فكلُّ هذا غيرُ محمودٍ، وقد كانَ النَّبيُّ ﷺ يتعوَّذُ من عِلمٍ لا ينفعُ[٤].

وفي حديثٍ عنه أنَّه قالَ: «سَلوا اللهَ عِلمًا نافعًا، وتعوَّذوا من عِلمٍ لا ينفعُ»[٥].

---

(١) ذكر المصنف في «بيان فضل علم السلف على علم الخلف» نحواً من هذا حيث قال: «وقد شهد النبي ﷺ لأهل اليمن بالإيمان والفقه، وأهل اليمن أقل الناس كلاماً وتوسعاً في العلوم، لكنَّ علمهم علم نافع في قلوبهم، ويعبرون بألسنتهم عن القدر المحتاج إليه من ذلك، وهذا هو الفقه والعلم النافع».

(٢) أي العلم، والفقه الممدوح.

(٣) تصحفت في (نسخة) إلى: «ويشتغل».

(٤) كما أخرجه مسلم (٢٧٢٢) من حديث زيد بن أرقم رضي الله عنه: «اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع».

(٥) أخرجه ابن ماجه (٣٨٤٣) من حديث جابر رضي الله عنه.

وفي الحديثِ عنه: «إنَّ مِنَ العِلمِ جَهلًا»[١].

وكانَ ﷺ يكرَهُ إطالةَ القَولِ وكثرتَه وتشقيقَ الكلامِ، ويحبُّ التجوُّزَ في القَولِ، وفي ذلكَ عنه أحاديثُ كثيرةٌ يطولُ ذكرُها.

* * *

وكذلكَ التَّصدِّي لردِّ كلامِ أهلِ البِدَعِ بجنسِ كلامِهم منَ الأقيسةِ الكلاميَّةِ وأدلَّةِ العقولِ يكرهُه الإمامُ أحمدُ وأئمَّةُ أهلِ الحديثِ، كيحيى القطّانِ وابنِ مهديٍّ وغيرِهم، وإنَّما يرَونَ الرَّدَّ عليهم بنصوصِ الكتابِ والسُّنَّةِ وكلامِ سلَفِ الأمَّةِ إن كانَ موجودًا، وإلّا رأَوا السُّكوتَ أسلَمَ.

وكانَ ابنُ المباركِ ـ أو غيرُه منَ الأئمَّةِ ـ يقولُ: ليسَ أهلُ السُّنَّةِ عندَنا مَن ردَّ على أهلِ الأهواءِ، بل مَن سكتَ عنهم[٢]. ذكرَ هذا كراهيةَ [الرغبةِ][٣] عن العِلمِ الذي جاءَ به الرَّسولُ ﷺ وعنِ العملِ بمقتضاهُ، فإنَّ فيه كفايةً، ومَن لم يكفِه ذلكَ فلا كفاه اللهُ.

* * *

وكلُّ ما ذكرتُه هاهنا فأنا أعلمُ أنَّ أهلَ الجِدالِ والخصوماتِ يناقِشونَ فيه أشدَّ المناقشةِ، ويعترِضونَ عليه أشدَّ الاعتراضِ، ولكن إذا وضَحَ الحقُّ تعيَّنَ اتِّباعُه، وتركُ الالتفاتِ إلى مَن نازعَ فيه، وشَغَّبَ وخاصمَ وجادلَ وألَّبَ.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٧٣) من حديث بريدة رضي الله عنه.

(٢) أخرج ابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٤٧٨) نحوه عن عبد الله بن البُسْري، ولم أقف عليه من كلام ابن المبارك.

(٣) في النسخ: «كراهية عن العلم» والكلام لا يستقيم، فأضفتُ ما بين المعقوفين.

ومن هاهنا يُعلَمُ أنَّ عِلمَ الإمامِ أحمدَ ومَن سلكَ سبيلَه منَ الأئمّةِ أعلمُ علومِ الأمة[1] وأجلُّها وأعلاها، وأنَّ فيه كِفايةً لمَن هداه اللهُ إلى الحقِّ، ومَن لم يجعلِ اللهُ له نورًا فما له من نورٍ.

تمَّتِ الرِّسالةُ المباركةُ الشّافيةُ لمَن وُفِّقَ إليها، ونظرَ فيها، وعمِلَ بما فيها، فهي له كافيةٌ واللهُ الموفِّقُ لإصابةِ الصَّوابِ، وإليه المرجعُ والمآبُ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمِينَ، والعاقبةُ للمتَّقِينَ[2].

***

(١) في (نسخة): «الأئمة».

(٢) في آخر نسخة مركز جمعة الماجد: «وكانَ الفراغُ من كتابتِها ضحوةَ نهارِ الأحدِ، رابعِ وعشرِينَ من شهرِ صفرَ في سنةِ ١٢١٩ ألفٍ ومئتينِ وتسعةَ عشرَ، من هجرةِ محمَّدٍ سيِّدِ البشَرِ، صلواتُ اللهُ تعالى وسلامُه عليه وعلى آلِهِ وصحبِهِ السّاداتِ الغُرَرِ، بقلمِ أفقرِ الورَى وأحوجِهم إلى اللهِ عزَّ وجلَّ، الملتجي بمَن لا له ثاني: عبدِ اللهِ بنِ درويشِ بنِ مباركِ بنِ حسينِ العدسانيِّ، غفرَ اللهُ لهم وعفا عنهم، ولمَن عملَ بما فيها، وللمسلمِينَ والمسلماتِ آمينَ، بمنِّه وكرَمِه أجمعِينَ.

وصلَّى اللهُ على محمَّدٍ وعلى آلِهِ وصحبِه وسلَّمَ أجمعِينَ، وحسبُنا اللهُ تعالى ونعمَ الوكيلُ، نعمَ المولى ونعمَ النَّصيرُ».

الكلام على كلمة الإخلاص وتحقيق معناها

دار اللباب

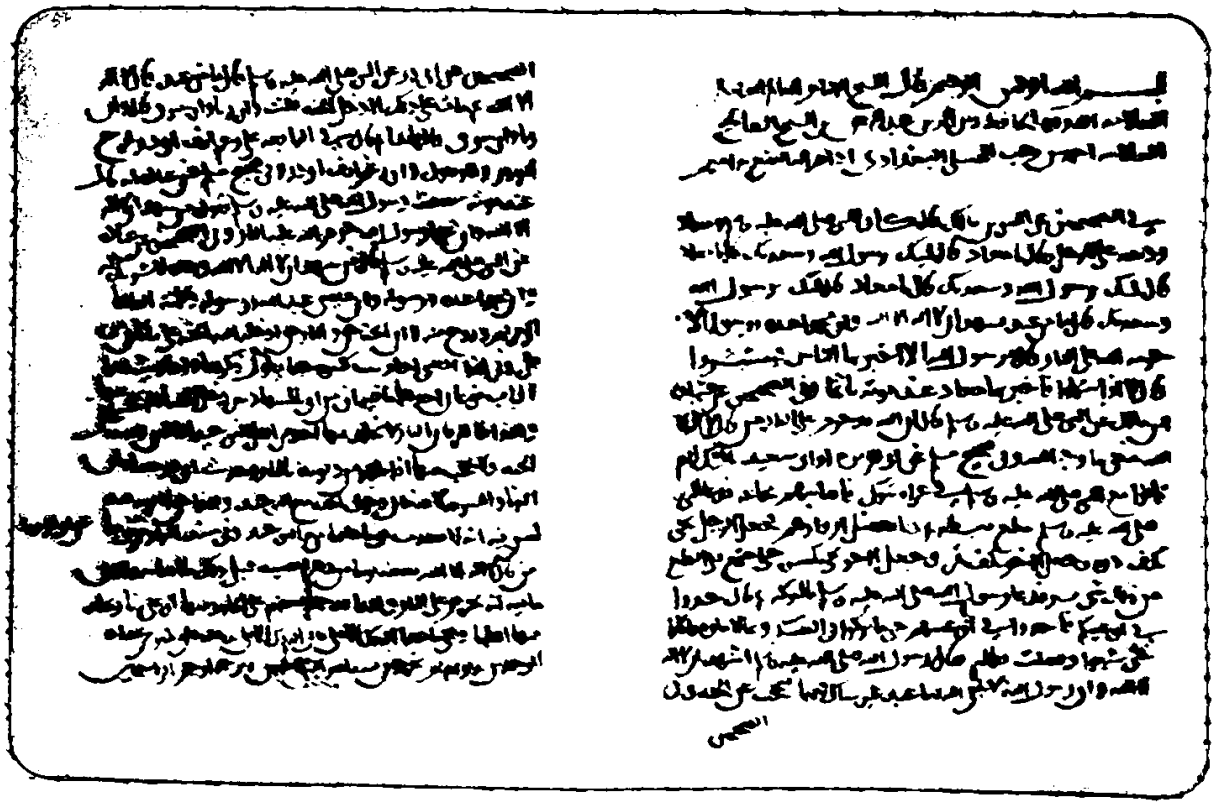

مكتبة شهيد علي باشا في سليمانية (ش)

المكتبة المحمودية في المدينة المنورة (م)

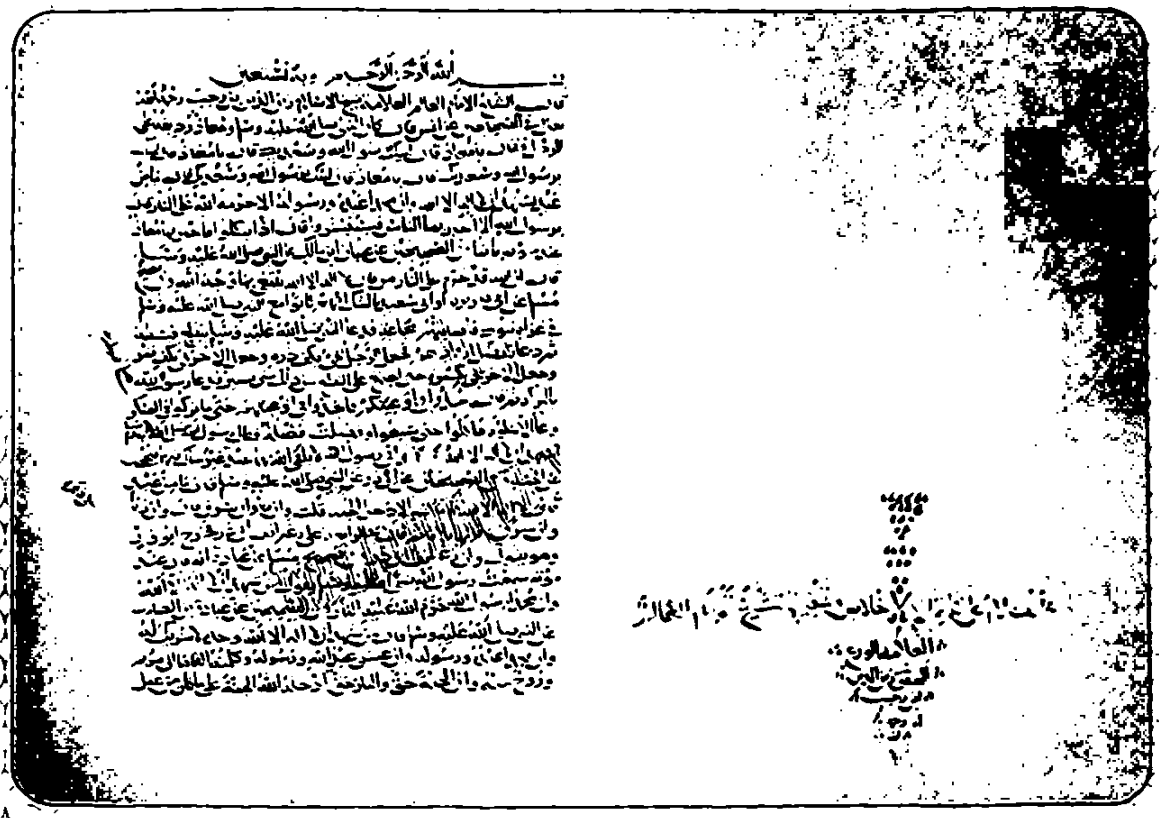

المكتبة الوطنية في تونس (ت)

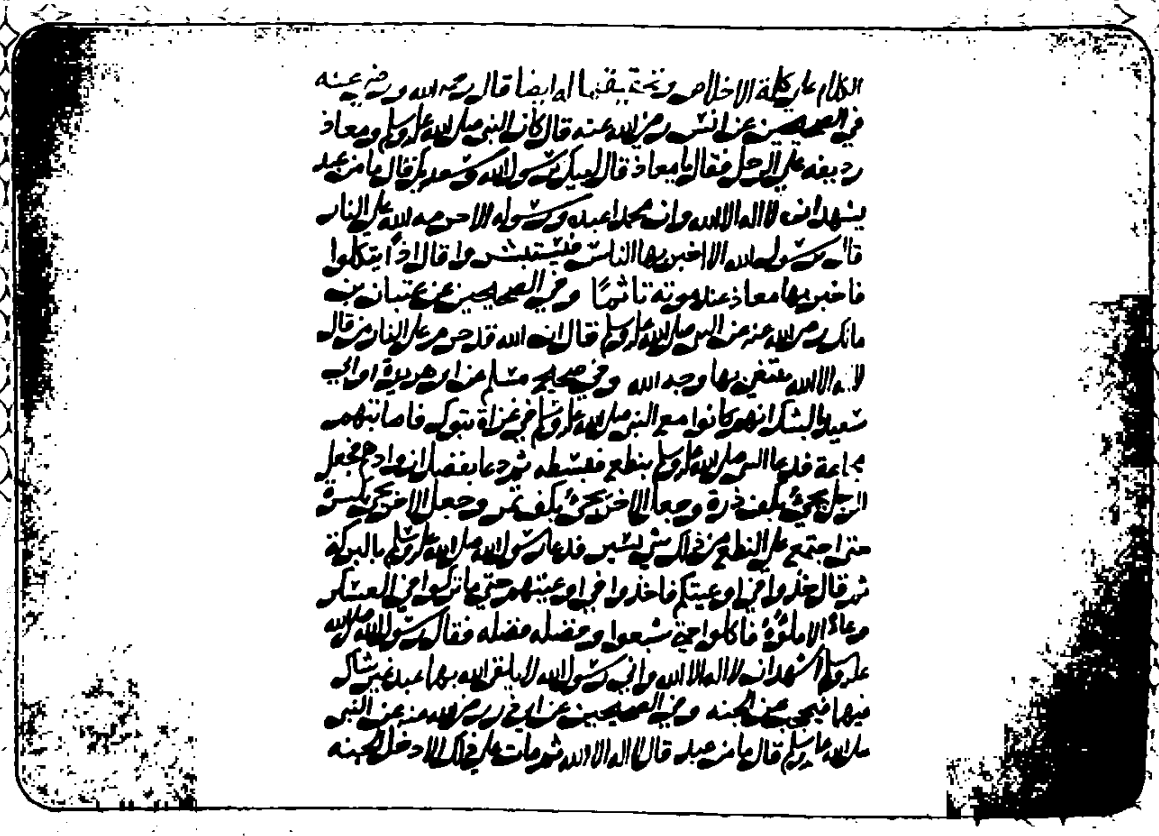

مكتبة الجامعة في القدس (د)

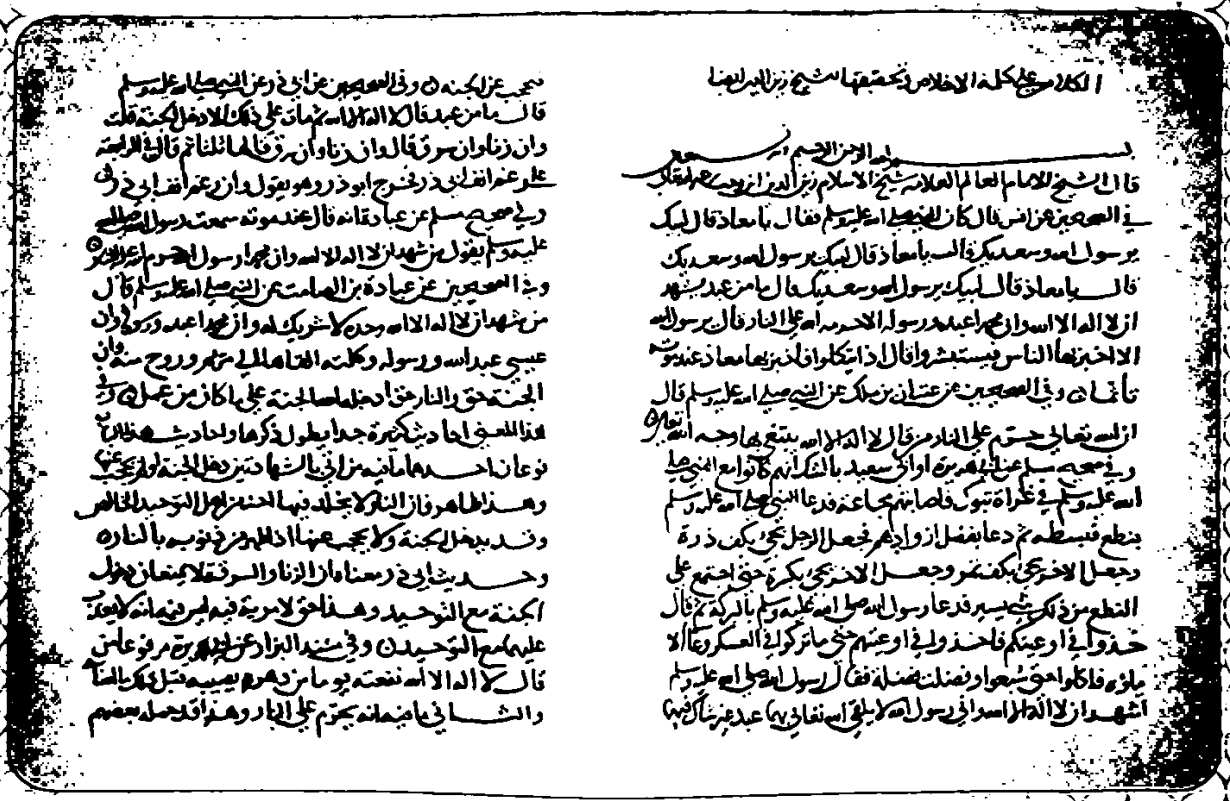

مكتبة المسجد الأقصى (ق)

مكتبة الفاتح في اسطنبول (ف)

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

اخرج البخاري ومسلم في الصحيحين عن انس رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم راكبا ومعاذ رديفه على الرحل فقال يا معاذ قال لبيك يا رسول الله وسعديك قال هل من عبد يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله الا حرمه الله على النار قال يا رسول الله الا اخبر بها الناس قال اذا يتكلوا فاخبر بها معاذ عند موته تاثما وفي الصحيحين عن عتبان بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله حرم على النار من قال لا اله الا الله يبتغي بذلك وجه الله وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه او ابي سعيد بالشك انهم كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فاصابتهم مجاعة فدعا النبي صلى الله عليه وسلم بنطع فبسطه ثم دعى بفضل ازوادهم فجعل الرجل يجيء بكف تمر حتى اجتمع على النطع من ذلك شيء يسير فدعى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبركة ثم قال خذوا في اوعيتكم فاخذوا في اوعيتهم حتى ما تركوا في العسكر وعاء الا ملؤه فاكلوا حتى شبعوا وفضل فضلة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شهد

قال يا معاذ قال لبيك يا رسول الله وسعديك قال يا معاذ قال لبيك يا رسول الله وسعديك قال هل من عبد يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله الا حرمه الله على النار قال يا رسول الله الا اخبر بها الناس قال اذا يتكلوا فاخبر بها معاذ عند موته تاثما

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

الحمد لله الولي الحميد، العزيز المجيد، والصلاة والسلام على سيد الأحرار والعبيد، نبينا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه وأتباعه إلى يوم الوعيد.

أما بعد:

فإن توحيد الله جَلَّ جلاله هو أساس الدين، وهو خلاصة دعوة الأنبياء والمرسلين، وكلمة التوحيد وعنوانه وشعاره هي (لا إله إلا الله).

هي كلمة تقال على اللسان، لكن يجب أن يعتقدها الجَنَان، وأن تعمل بمقتضاها الأركان. ونطق اللسان فيها لا يغني عن اعتقاد الجنان، والعمل بالأركان لا ينفع ما لم يكن خالصاً لوجه الملك الديان. فلا تنفك حقيقة معنى هذه الكلمة الطيبة عن صدق الإخلاص لله تعالى وتوحيده في القصد.

هذه المعاني قد تظاهرت عليها الدلائل من القرآن والسُّنة ومن أقوال خيار هذه الأمة.

«وقد عُلِمَ أن عبادة الله جل جلاله تُبنى على ثلاثة أصول:

الخوف والرجاء والمحبة، وكل منها فرض لازم، والجمع بين الثلاثة حتم واجب، فلهذا كان السلف يذمون من تعبد بواحد منها وأهمل الآخَرَين.

فإن بدع الخوارج ومن أشبههم إنما حدثت من التشديد في الخوف، والإعراض عن المحبة والرجاء.

وبدع المرجئة نشأت من التعلق بالرجاء وحده والإعراض عن الخوف.

وبدع كثير من أهل الإباحة والحلول ممن يُنسب إلى التعبد نشأت من إفراط المحبة والإعراض عن الخوف والرجاء»[١].

وقد وردت بعض ألفاظ من الأحاديث الشريفة، تمسك بظاهرها من نحا نحو تلك البدع، ومنها: الأحاديث التي فيها تحريم النار على من شهد أن لا إله إلا الله، فالقول بظاهرها مشكل، واجب التأويل، ليوافق أصول الشرع العامة، التي تظاهرت عليها دلائل الكتاب والسنة.

«قال بعض المحققين: قد يتخذُ ـ أمثالَ هذه الأحاديث ـ المبطلةُ والمباحيةُ ذريعةً إلى طرح التكاليف، ودفع الأحكام، وإبطال الأعمال، معتقدين بأن الشهادة وعدم الإشراك كاف، وربما يتمسك بها المرجئة، وهذا الاعتقاد يستلزم طي بساط الشريعة، وإبطال الحدود والزواجر السمعية، ويوجب أن يكون التكليف بالترغيب في الطاعات والتحذير عن المعاصي والجنايات غير متضمن طائلاً، وبالأصل باطلاً، بل يقتضي الانخلاع عن ربقة الدين والملة، والانسلال عن قيد الشريعة والسُّنَّة، والخروج عن الضبط، والولوج في الخبط، وترك الناس سدى مهملين يموج بعضهم في بعض، معطَّلين من غير مانع ولا دافع، وذلك يفضي إلى خراب الدنيا بعد أن أفضى إلى خراب العقبى»[٢].

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «فلا راحة للتمسك به في ترك العمل، لأن الأحاديث إذا ثبتت وجب ضم بعضها إلى بعض، فإنها في حكم الحديث

---

(١) «استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس» للمصنف رحمه الله.

(٢) «شرح المشكاة» للطيبي (٢/ ٤٧٧).

الواحد، فيحمل مطلقها على مقيدها ليحصل العمل بجميع ما في مضمونها، وبالله التوفيق»[١].

وحديث أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ رضي الله عنه: «ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله إلا حرمه الله على النار» الذي افتتح به المصنف ابن رجب كتابه، هو من جملة تلك الأحاديث؛ لذلك أراد المصنف رحمه الله تجلية حقيقة معناه الموافق لأصول الدين العامة، فذكر تأويله عن الأئمة رحمهم الله:

١ ـ تأويل سعيد بن المسيب والزهري والثوري أن هذه الأحاديث كانت قبل نزول الفرائض والحدود، واستبعده.

٢ ـ تأويل الحسن البصري أن الشهادتين سبب لدخول الجنة والنجاة من النار ومقتض لذلك، والمقتضِي لا يعمل عمله إلا باستجماع شروطه وانتفاء موانعه، وقد يتخلف المقتضَى لفوات شرط أو لوجود مانع. وهذا التأويل استظهره المصنف.

٣ ـ تأويل ابن بطال والقاضي عياض: أن التحريم على النار يعني تحريم الخلود فيها، أو على نار يخلد فيها أهلها.

٤ ـ وقال بعضهم: هذه النصوص المطلقة فيمن قال: لا إله إلا الله، وردت لها قيود في نصوص أخرى من كون قائلها: (مخلصاً) (مستيقناً) (حقاً من قلبه) (واطمأن بها قلبه) وهو راجع إلى التأويل الثاني.

٥ـ وقال البخاري في «صحيحه» عقب حديث أبي ذر (٥٨٢٧): «هذا عند الموت أو قبله، إذا تاب وندم، وقال: لا إله إلا الله غفر له».

وفي يومنا هذا نجد هذا الكتاب مهماً جداً في تصحيح بعض المفاهيم،

---

(١) «فتح الباري» لابن حجر، شرح الحديث (٦٤٤٥).

وفي ترسيخ الإيمان بالله، وتوحيده، والإخلاص له، وحماية المؤمنين وصَوْنهم من الوقيعة في الشرك وعبادة الأصنام، وفي كل عصرٍ نوعُ شِرْك، ولكل جاهلية أصنامها، وصنم الجاهلية المادية المعاصرة هو ما يسمونه (الحرية الشخصية)، واسمه في الشرع: (الهوى)، وورد إطلاق (الإله) على الهوى المتبع في كتاب الله، فقال الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية: ٢٣].

والفصل بين الدين والحياة انفصال عن الإسلام، وعبوديته للهوى والمادة هي شرك بالله جل جلاله.

ودلائل هذا كله مذكورة في هذا الكتاب اللطيف، الذي ختمه المؤلف رحمه الله بذكر فضائل كلمة التوحيد، نرجو الله أن يثبتنا في الحياة عليها، ونسأله أن يكون عند الممات آخر كلامنا من الدنيا شهادة أن (لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله).

* * *

النسخ المعتمدة في التحقيق

قد توفرت لنا بحمد الله نسخ قيمة متعددة، إحداها كتبت في حياة المصنف، والثانية قرئت على بعض تلاميذه.

١ ـ النسخة (ش)، وهي الرسالة الأولى من مجموع مكتبة شهيد علي باشا (٥٤٣) في اصطنبول وقد سبق في المقدمات التعريف به، وتقع في (١٢) لوحة من أول المجموع وهي بخط: محمد بن محمد بن محمد بن عبد الدائم البهي المصري الحنبلي[1] في سنة ٧٨٧ كما كتب في آخر الرسالة التي تليها أي في حياة المصنف رحمه الله.

وفي لوحة العنوان منها، جاءت تسميتها (كتاب التوحيد) بخط غير خط الباهي، وعلق عليه أحدهم: «خط ابن السمين الحلبي المشهور رحمه الله سبحانه»!

لكن ابن السمين: أحمد بن يوسف صاحب «الدر المصون»، متوفى سنة ٧٥٦ رحمه الله تعالى. وهذا لا يكون! فليُنظر الأمر.

٢ ـ النسخة (م)، وهي الرسالة (٤) من مجموع المكتبة المحمودية (١٧٤٢) بالمدينة المنورة على ساكنها الصلاة والسلام، وقد سبق في المقدمات التعريف به.

وتقع في (٢٠) لوحة من (٥٩/ ب ـ ٧٨/ ب).

الناسخ: أحمد بن محمد بن خضر الحنبلي النجاد القطان تلميذ المصنف، دون تاريخ.

جاء العنوان فيها: «الكلام على كلمة الإخلاص وتحقيق معناها تأليف شيخنا

---

(١) توفي رحمه الله سنة ٨٠٢، وكان عين الحنابلة بمصر (الجوهر المنضد لابن عبد الهادي، ص: ١٥٠).

الإمام، العالم، العلامة، شيخ الإسلام، أوحد الحفاظ الأعلام، وعمدة المحدثين أبي الفرج عبد الرحمن بن الشيخ العالم الزاهد أبي العباس أحمد بن رجب الحنبلي قدس الله روحه ونور ضريحه، وجمعنا به في جنته بمنه وكرمه إنه قريب مجيب. وهو على ما يشاء قدير آمين. بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر وأعن...».

وفي لوحة العنوان من هذه النسخة [٥٩/ ب] طبقة سماع[١].

«بإجازته إن لم يكن سماعاً من مؤلفه، بقراءة مالك هذه النسخة الفقيه الفاضل العالم ....[٢] أبي العباس أحمد بن محمد بن أحمد ابن زيد.

الجماعة: شقيق القارئ رضي الدين أبو بكر، وابنه إبراهيم، وأولاد القارئ: بهاء الدين أبو الخير محمد في....[٣]، وأبو الطيب.....[٤]، وأم الحـ...[٥] وأم الهنا أسماء، ووالدتهم زبيدة ابنة علي بن عثمان بن سلمون[٦].

والفاضل شمس الدين محمد بن الحسن بن محمد الشيباني الهيثي الحنفي.

وشمس الدين محمد بن أحمد بن الحسن الشامي الشهير بابن شنيقدق.

وسعيد بن عبد الرحمن بن علي البغدادي الأصل ثم الدمشقي.

وعبد الله بن أحمد بن بدر الـ.

وأبو بكر بن حسن بن محمد بن الحسن المعصراني.

---

(١) ذهب سطر من أول الطبقة، وفيه الصلة بالمصنف رحمه الله. وابن زيد مالك هذه النسخة يروي عن المصنف.

(٢) أربع كلمات بطرف الورقة ذهب أكثرها.

(٣) بياض بمقدار كلمة ليكتب سنه.

(٤) كلمة ذهب حبرها.

(٥) ذهبت الكلمة بطرف الورقة.

(٦) فوائد تضاف إلى ترجمة ابن زيد.

وأبو بكر بن خضر بن محمد المارداني.

ومحمد وأحمد ولدي علي بن ....[١] الشهير والدهما بابن عرفة.

وحسن وحسين ولدي قبجق الظاهري.

وعمر بن محمد بن حسين الحـ....[٢].

ومحمد بن صالح بن عمر الشهير بابن عين القطان.

ومحمد بن عمر بن إبراهيم الطحان.

وعبد ....[٣] بن محمد بن علي الشهير بابن الجنباز.

ومحمد بن عمر بن ....[٤] الشهير والده بالحلاق.

وكاتب هذه الأسطر محمد المدعو عمر بن محمد بن محمد بن أبي الخير بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن فهد الهاشمي العلوي المكي...[٥].

وصح ذلك وثبت يوم الأربعاء سابع عشري ذي القعدة سنة ست وثلاثين وثماني مئة بمنزل القارئ بقبر عاتكة [ظاهر] دمشق المحروسة[٦]، وأجـ[ـاز]

---

(١) كلمة ذهبت بطرف الورقة.

(٢) كلمة ذهب بطرف الورقة

(٣) كلمة ذهب بطرف الورقة

(٤) بياض بمقدار كلمتين.

(٥) كلمة ذهبت بطرف الورقة.

ونجم الدين ابن فهد المكي من مشاهير المعتنين بالرواية توفي ٨٨٥ رحمه الله تعالى، وله «معجم الشيوخ» ذكر فيه من شيوخه مالك هذه النسخة أبا العباس ابن زيد الحنبلي، وهو الشيخ الحادي والأربعون (ص: ٨١).

(٦) قبر عاتكة محلة خارج سور دمشق من جهة باب الجابية، وهي الآن شرقي شارع خالد بن الوليد، إلى الجنوب من السوق الذي يعرف بباب سريجة.

المسمع لكل منا جميع ما يجوز [له] وعنه روايته، بسؤال [....][1].

والحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآل سيدنا محمد وصحبه وسلم وحسبنا الله ونعم الوكيل.

٣ ـ النسخة (ت)، وهي الرسالة (١٦) من مجموع المكتبة الوطنية بتونس (١٥٧) الذي سبق التعريف به في المقدمات.

وتقع في (١٠) لوحات من (١٤٢/ ب ـ ١٥٢/ أ) لا يوجد اسم الناسخ، ولا تاريخ النسخ، وهي مقابلة وعليها بلاغات، ولكن يوجد في المجموع رسالة قد تم نسخها سنة ٨٥٢هـ.

وجاء العنوان فيها: «الكلام على كلمة الإخلاص وتحقيقها للشيخ الإمام العالم العلامة الورع المحقق زين الدين ابن رجب».

٤ـ النسخة (د)، وهي الرسال (٣) من رسائل ابن رجب في مجموع مكتبة الجامعة في القدس، وقد سبق في المقدمات التعريف به، وتقع في (١٣ لوحة) (١٣٠/ ب ـ ١٤٢/ ب).

الناسخ: إبراهيم بن علي بن أحمد بن بُرَيد الديري القادري[2]، دون تاريخ النسخ، لكن في المجموع رسالة بخطه تم نسخها ٨٦١، وهو قد توفي ٨٨٠ رحمه الله تعالى.

وجاء العنوان فيها: «الكلام على كلمة الإخلاص وتحقيقها».

٥ـ النسخة (ق)، وهي الرسالة (٤) من مجموع المسجد الأقصى فك الله أسره، وقد سبق في المقدمات التعريف به.

---

(١) ما بين المعقوفات، وقع في طرف الورقة وذهب بعضه.

(٢) له ترجمة في «الضوء اللامع» للسخاوي (١/ ٨٠).

وتقع في (١٣) لوحة (٣٥/ أ ـ ٤٨/ أ).

لا يوجد اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ، لكنه من خطوط القرن التاسع. وجاء العنوان فيها.

٦ـ **النسخة (ف)**، وهي الرسالة (٨) من مجموع مكتبة الفاتح (٥٣١٨) باصطنبول، وقد سبق في المقدمات التعريف به.

وتقع في (١٦) لوحة (١٣٩/ أ ـ ١٥٣/ ب).

الناسخ: عيسى بن علي بن محمد الحوراني الشافعي، وقد تم نسخ المجموع سنة ٨٩٣ وجاء العنوان فيها: «الكلام على كلمة الإخلاص وتحقيقها» وذكر ابن رجب كما في (ت).

٧ـ **النسخة (س)**، وهي الرسالة (٣) من مجموع جامعة الملك سعود بالرياض (١٦٣٧) وقد سبق في المقدمات التعريف به.

وتقع في (١٩) صفحة من (٧٩ إلى ٩٧)، وهي مقابلة وعليها تصحيحات.

وهي بخط عبد الله بن إبراهيم بن محمد بن ربيعة الربيعي، وأرخت بعض رسائل المجموع سنة ١٣٣٣.

وجاء العنوان فيها: «الكلام على كلمة الإخلاص وتحقيق معناها».

* * *

ويوجد للكتاب نسخة مختصرة في مجموع رئاسة الشؤون الدينية في أنقرة لم نعرج عليها، وقد سبق في المقدمات التعريف به، ونسخ خطية أخرى لم نطلع عليها.

* * *

وكما تبين فإن للكتاب في النسخ الخطية ثلاثة عناوين.

١ـ «التوحيد» في (ش) لكن بغير خط ناسخه.

٢ـ «الكلام على كلمة الإخلاص وتحقيق معناها» في (م) و(س)، وقد اخترناه لوجود سماع عليه.

٣ـ «الكلام على كلمة الإخلاص وتحقيقها» في (ت) و(د) و(ق) و(ف) و(س) ومختصر أنقرة.

٤ـ وذكره ابن عبد الهادي في «الجوهر المنضد ص: ٥٠» باسم: «مسألة الإخلاص».

ويبدو من مغايرات النسخ أن (س) تنتمي إلى (م)، وأن (ت) و(د) و(ق) و(ف) تنتمي إلى مصدر واحد.

وقد طبع الكتاب قَبلاً ما يزيد على عشر طبعات متفاوتة الجودة.

منها طبعة مطبعة مصر سنة ١٩٥٠ بتحقيق محمود خليفة وأحمد الشرباصي، حيث كتب عليها الشيخ عبد الله الصديق الغماري رسالة خاصة سماها «أسباب الخلاص من التحريف الواقع في تحقيق كلمة الإخلاص».

ونرجو الله تعالى أن يكون في عملنا خلاص من كل ما ينافي الإخلاص وهو خير مسؤول وأكرم مأمول والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

وكتب

محمد مجير الخطيب الحسني

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم
وهو حسبي وبه أستعين

قال الشَّيخُ، الإمامُ، العالمُ، العاملُ، العلَّامةُ، القُدوةُ الحافظُ، زينُ الدين عبدُ الرحمن ابن الشيخ الصالح العلامة أحمد بن رجب الحنبلي البغدادي، أدام الله النفع به. آمين[1].

خرَّج البخاري ومسلمٌ في «الصَّحيحينِ» عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان النبيُّ ﷺ[2] ومعاذٌ رَدِيْفهُ على الرَّحْلِ، فقال: «يا مُعَاذُ» قال: لَبَّيكَ يا رسولَ اللهِ وسَعْدَيك. قال: «يا مُعَاذُ». قال: لبَّيكَ يا رسولَ اللهِ وسَعْدَيكَ. قال: «يا مُعَاذُ». قال: لبَّيكَ يا رسولَ اللهِ وسَعدَيك. قال: «ما مِنْ عَبدٍ يشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وأنَّ محمداً عبدُهُ ورسُوله إلا حرَّمهُ الله على النَّارِ» قال: يا رسول الله! ألا أخبرُ بها النَّاسَ فيَسْتَبْشِروا؟ قال[3]: «إذاً يتكلوا».

---

(١) المثبت هو مقدمة (ش)، وفي لوحة العنوان منها: «كتاب التوحيد من كلام الشيخ الإمام العالم العلامة الحافظ المتقن المحرر المفيد زين الدين علم الزهاد والحفاظ والمتكلمين أبي الفرج عبد الرحمن ابن الشيخ الإمام الصالح الزاهد المقرئ شهاب الدين أبي العباس أحمد بن رجب البغدادي الحنبلي تغمده الله بالرحمة والرضوان وأسكنه غرف الجنان، بسم الله الرحمن الرحيم».
وفي (ف) و(ق): «قال الشيخ الإمام العالم العامل العلامة شيخ الإسلام زين الدين ابن رجب رحمه الله تعالى».
وفي (س): «الكلام على كلمة الإخلاص وتحقيق معناها تأليف الشيخ الإمام زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن رجب، بسم الله الرحمن الرحيم وبه أستعين، أخرج البخاري ومسلم...».

(٢) زاد في (س): «راكباً» وليست في «الصحيحين».

(٣) زاد في (ش): «لا». وليست في «الصحيحين». وهي زيادة لا وجه لها، لأنها لو ثبتت لكانت نهياً =

فأخبرَ بها معاذٌ عندَ موتهِ تَأثُّماً[١].

وفي «الصَّحيحين» عن عِتْبانَ بن مالكٍ، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «إنَّ اللهَ قدْ حَرَّمَ على النَّارِ مَنْ قالَ لا إله إلا الله يبتغي بها[٢] وجه الله»[٣].

وفي «صحيح مُسْلمٍ» عن أبي هُريرة أو أبي سعيد ـ بالشَّكِّ ـ: أنَّهم كانُوا معَ النَّبيِّ ﷺ في غزاة تَبُوكَ، فأصابَتْهم مَجَاعَةٌ، فدعا النبيُّ ﷺ بنِطَع فبسَطَه، ثم دعا بفَضْلِ أزوادِهم، فجعلَ الرَّجلُ يجيءُ بكَفِّ ذُرَةٍ، وجعلَ الآخرُ يجيء بكَفِّ تَمْرٍ، وجعلَ الآخرُ يجيءُ بكِسْرَةٍ، حتَّى اجتَمَعَ على النِّطَعِ من ذلكَ شيءٌ يسيرٌ، فدعا رسولُ الله ﷺ بالبركةِ، ثم قال: «خُذوا في أوعيَتكِمْ»، فأخذوا في أوعيتِهم، حتَّى ما تركُوا في العَسْكَرِ وعاءً إلا مَلؤوه، فأكلُوا حتَّى شبِعوا، وفَضَلَتْ فَضْلة، فقال رسولُ الله ﷺ: أشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وأنِّي رسولُ اللهِ. لا يلقَى الله بهما عَبْدٌ غيرَ شَاكٍّ فيهما فيُحْجَبَ عنِ الجنَّةِ»[٤].

= صريحاً لمعاذ عن رواية هذا الحديث، وقد رواه آخر حياته. فيكون قد فهم معاذٌ رضي الله عنه من قوله ﷺ «إذاً يتكلوا» أن لا يحدِّث به من لا خبرة له ولا علم فيغتر ويتكل. والبخاري إنما أورد الحديث في باب: «من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا».

(١) أخرجه البخاري (١٢٨)، ومسلم (٣٢) من حديث هشام، عن قتادة، عن أنس، واللفظ لمسلم. وللحديث طرق وألفاظ عن قتادة، وعن أنس، وعن معاذ.

والتأثم: الخروج من الإثم، كيلا يكون قد كتم علماً.

(٢) في (س): «بذلك»، وهو الموافق لما في البخاري.

(٣) أخرجه البخاري في مواضع (٤٢٥، ١١٨٦، ٥٤٠١، ٦٤٢٣، ٦٩٣٨)، ومسلم (٣٣) واللفظ للبخاري.

(٤) أخرجه مسلم (٢٧)، والشك فيه من الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة، أو عن أبي سعيد رضي الله عنهما.

النِّطع: بساط من الجِلد.

وفي «الصَّحيحينِ» عن أبي ذَرٍ، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «ما مِنْ عَبْدٍ قال: لا إلهَ إلا اللهُ، ثم ماتَ على ذلك إلا دخلَ الجنَّةَ». قلتُ: وإنْ زنى وإنْ سَرَق! قال: «وإنْ زنى وإنْ سرق». قالها ثلاثاً، ثم قال في الرابعة: «على رَغْمِ أَنْفِ أبي ذَرّ» فخرجَ أبو ذَرٍّ وهو يقول: وإن رَغِمَ أنفُ أبي ذَرٍّ[١].

وفي «صحيحِ مُسْلمٍ» عن عُبَادةَ بنِ الصَّامتِ رضي الله عنه أنه قال عندَ موتِه: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «مَنْ شَهِدَ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وأنَّ محمداً رسولُ اللهِ حَرَّمَ اللهُ عليهِ النَّارَ»[٢].

وفي «الصَّحيحينِ» عن عُبَادةَ بنِ الصَّامتِ، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «مَنْ شَهِدَ أنْ لا إله إلا الله وَحْدَه لا شريكَ له، وأنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، وأنَّ عيسى عبدُ اللهِ ورسولُه وكلمتُه ألقاها إلى مريمَ ورُوحٌ مِنْه، وأنَّ الجَنةَ حَقٌّ والنَّارَ حَقٌّ أدخلَه اللهُ الجنَّةَ على ما كانَ من عَملٍ»[٣].

وفي هذا المعنى أحاديثُ كثيرةٌ جدًّا يطولُ ذكرها.

وأحاديث هذا البابِ نوعانِ:

أحدهما: ما فيه أنَّ مَنْ أتى بالشهادتينِ دخلَ الجنَّةَ أو لمْ يُحْجَبْ عنها، وهذا ظاهرٌ؛ فإنَّ النارَ لا يخلدُ فيها أحدٌ من أهلِ التَّوحيدِ الخالصِ، وقد يدخلُ الجنَّةَ ولا يُحْجَبُ عنها إذا طُهِّرَ من ذنوبِه بالنَّارِ.

---

(١) أخرجه البخاري في مواضع كثيرة، وهذا اللفظ في (٥٨٢٧)، ومسلم (٩٤) قال البخاري عقيبه: «هذا عند الموت، أو قبله إذا تاب وندم، وقال: لا إله إلا الله غفر له».

(٢) أخرجه مسلم (٢٩).

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٣٥)، واللفظ له، ومسلم (٢٨).

وحديثُ أبي ذَرٍّ معناهُ: أنَّ الزنى والسرقةَ لا يمنعانِ دخولَ الجنَّةِ مع التوحيدِ، وهذا حَقٌّ لا مِرْيَة فيه، ليسَ فيهِ أنَّه لا يُعذَّبُ يوماً عليهما مع التَّوحيد.

وفي «مُسند البزَّارِ» عنْ أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «مَنْ قالَ لا إله إلا الله نَفَعَتْهُ يوماً مِنْ دَهْرِه يصيبُه قبلَ ذلك ما أصابَه»[١].

والثاني ما فيه أنه يَحْرُمُ على النَّار، وهذا قد حَمَلهُ بعضُهم على الخلودِ فيها[٢]، أو على نار يخلدُ فيها أهلُها، وهي ما عدا الدَّرْكَ الأعلى، فإنَّ الدَّرْكَ الأعلى يدخُله خلقٌ كثيرٌ من عُصَاةِ الموحِّدين بذنُوبهم، ثم يخرجونَ بشفاعةِ الشَّافعينَ، وبرحمةِ أرحَمِ الرَّاحمين.

وفي «الصَّحِيحينِ»: «إنَّ اللهَ تعالى يقولُ: وعِزَّتي وجلالي لأُخْرِجَنَّ من النَّارِ مَنْ قالَ: لا إله إلا الله»[٣].

[لا بد في الشهادتين من تحقُّق شروطِهما وانتفاء موانعِهما]

وقالت طائفةٌ من العلماءِ: المرادُ من هذه الأحاديث أنَّ (لا إله إلا الله) سببٌ لدخولِ الجنَّةِ والنَّجاةِ من النَّار، ومقتضٍ لذلك، ولكنَّ المقتضي لا يعملُ عمَلَه إلا باستجماعِ شروطِه وانتفاءِ موانعِه، فقد يتخلَّفُ عنه مُقْتضاهُ لفواتِ شَرْطٍ من شُروطِه أو لوجودِ مانعٍ، وهذا قولُ الحسنِ ووهْبِ بن مُنَبِّه، وهو الأظهر.

قال الحسنُ للفَرَزْدَقِ وهو يَدفِنُ امرأتَه: ما أعدَدْتَ لهذا اليومِ؟ قال: شهادةَ أن

---

(١) أخرجه البزار (٨٢٩٢).

(٢) ذكره الترمذي عن بعض أهل العلم عقب حديث عبادة بن الصامت (٢٦٣٨) الذي ذكره المصنف آنفاً. وأوَّله بذلك ابنُ بطال في «شرح البخاري» (١/ ٢٠٧).

(٣) هذا مختصر من حديث أنس رضي الله عنه في الشفاعة. أخرجه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (١٩٣).

لا إلهَ إلا الله منذُ سبعينَ سنةً. قال الحسن: نِعْمَ العُدَّة[١]، إنَّ للا إلهَ إلا اللهُ شروطاً فإيَّاك وقَذْفَ المُحْصَنَةِ[٢].

وروي عنه أنه قال للفرزدقِ: هذا العمودُ فأين الطُّنُبُ[٣].

---

(١) في حاشية (ف): «لعله: اعلم» أي: اعلم أن للا إله إلا الله شروطاً». وفي (ش): «نعم، إنَّ للا إله إلا الله شروطاً». وفي (س): «نِعْمَ العدة لكن...».

(٢) سؤال الحسن للفرزدق: ماذا أعددت لهذا اليوم؟ وجوابه بالتوحيد مشهورٌ. روته كثير من كتب الحديث والتراجم والأدب. ومنهم من ذكر أن ذلك كان في جنازة النوَّار امرأة الفرزدق، ومنهم من ذكر أن ذلك كان في جنازة أبي رجاء العطاردي، ومنهم من أغفل ذكر صاحب الجنازة.

ومنهم من ذكر: «منذ ستين سنة»، وبعضهم قال: «سبعين»، وبعضهم قال: «ثمانين». ولم يذكروا الشرط، وقذف المحصنة. والخبر في «المصنف» لابن أبي شيبة (٣٦٨٨٢)، وفي «طبقات فحول الشعراء»، لابن سلَّام (٤٣٧)، وفي «الطبقات الكبرى»، لابن سعد (٧/ ١٤٠)، وفي «حسن الظن بالله» لابن أبي الدنيا (١٠٢)، وفي «القبور» له (١٠٩) (١١٠) (١١٢) (١١٣)، وفي «تاريخ واسط»، لبحشل (ص: ١٤٥)، وغيرها.

أما السياق الذي أورده المصنف بذكر الشرط في (لا إله إلا الله) والتحذير من قذف المحصنة فلم أجده هكذا، وإنما روى ابن عساكر الخبر من طرق، وفي بعضها: أن ذلك السؤال كان في جنازة النوار وفيها قول الحسن: «نِعْمَ والله العدة»، وفي بعضها: أن ذلك في جنازة أبي رجاء العطاردي وهي التي فيها ذكر الشروط والتحذير من قذف المحصنة. انظر: «مختصر تاريخ دمشق» لابن منظور (٢٧/ ١٣١ ـ ١٣٢) ـ وهو من المفقود من أصل التاريخ، فلعل ما أورده المصنف مدرج منهما. وتتمته عند ابن عساكر: «يا أبا فراس! كم من محصنة قد قذفتها، فاستغفر الله. قال: فهل من توبةٍ أبا سعيد؟ قال: نعم».

وأورده كذلك الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٥٨٤) وذكر طرفاً من سنده: «مسلم بن إبراهيم، حدثنا إياس بن أبي تميمة» فذكر خبر جنازة أبي رجاء بتمامه. ونبَّه الحسن على قذف المحصنة؛ لكون الفرزدق شاعراً هجَّاءً.

(٣) يعني أن كلمة التوحيد عمود الفسطاط، ولكن لا يثبت الفسطاط بدون أطنابه، وهي فعل الواجبات وترك المحرمات، والأطناب: الحبال التي تشد بها الخيمة. وهذا القول مع القصة قبله رواه الشريف المرتضى في «أماليه» (ص: ٦٥). وفي (م) ضبطت: «الطَّنَبُ» بالإفراد.

وقيل للحسن: إنَّ ناساً يقولونَ: مَنْ قال لا إله إلا الله دخلَ الجنَّةَ، فقال: مَنْ قال لا إله إلا اللهُ فأدَّى حقَّها وفَرْضَها دَخَلَ الجنَّة[١].

وقال وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ لِمَنْ سألهُ: أليسَ لا إلـه إلا الله مفتاحَ الجنَّـةِ؟ قال: بلى، ولكـن ليـس[٢] مفتـاحٌ إلا و[٣]له أسـنان، فإن جئتَ بمفتاحٍ له أسـنان فُتِـحَ لك، وإلَّا لمْ يُفْتَحْ لك[٤].

وهذا الحديثُ: «أنَّ مفتاحَ الجنَّةِ لا إله إلا الله» خرَّجه الإمامُ أحمد بإسنادٍ منقطعٍ[٥] عن معاذٍ قال: قال لي رسولُ الله ﷺ: «إذا سألكَ أهلُ اليمنِ عنْ مفتاحِ الجنَّةِ، فقل: شهادةُ أن لا إله إلا الله»[٦].

ويدُلُّ على صحةِ هذا القولِ: أنَّ النبيَّ ﷺ رتَّبَ دخولَ الجنَّةِ على الأعمالِ الصَّالحةِ في كثيرٍ من النصوصِ كما في «الصَّحيحينِ» عن أبي أيُّوبَ: أنَّ رجلاً قال: يا رسول الله! أخبرني بعمل يُدخِلُني الجنَّةَ فقال: «تعبدُ اللهَ لا تشركُ به شيئاً، وتقيمُ الصَّلاةَ، وتؤتي الزكاةَ، وتَصِلُ الرَّحِم»[٧].

---

(١) أخرجه الأصبهاني في «الحجة في بيان المحجة» (٢/ ١٥٨)، والشجري «ترتيب الأمالي الخميسية» (٢١). وأورده ابن بطال في «شرح البخاري» (١/ ٢٠٨) من رواية الطبري، ولم أجده في تفسيره.

(٢) في (ش) و(م) و(س): «ما من»، والمثبت من سائر النسخ وهو الموافق لما في «صحيح البخاري».

(٣) «و»: ثابتة في النسخ إلا (س)، ولا توجد كذلك في «الصحيح». وتوجد في «التاريخ الكبير».

(٤) علقه البخاري في «صحيحه» في أول كتاب الجنائز (قبل الحديث ١٢٣٧)، ووصله في «التاريخ الكبير» (١/ ٩٥). وهو في «مسند ابن راهويه» كما في «المطالب العالية» لابن حجر (٢٨٩٣) وحسَّن إسناده، و«حلية الأولياء» لأبي نعيم (٤/ ٦٦).

(٥) «مسند الإمام أحمد» (٢٢١٠٢)، ولفظه: «مفاتيح الجنة شهادة أن لا إله إلا الله». والانقطاع فيه: أن شَهْر بن حَوْشَب لم يُدرك معاذ بن جبل رضي الله عنه.

(٦) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (١٩٢).

(٧) أخرجه البخاري (١٣٩٦)، ومسلم (١٣).

وفي «صحيحِ مسلمٍ» عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رجلاً قال: يا رسول الله! دُلَّني على عملٍ إذا عملتُه دخلتُ الجنَّةَ. قال: «تعبدُ اللهَ لا تشركُ به شيئاً، وتقيمُ الصَّلاةَ المكتوبةَ، وتؤدِّي الزكاةَ المفروضةَ، وتصومُ رمضانَ، فقالَ الرجلُ: والذي نفسي بيدهِ لا أزيدُ على هذا شيئاً أبداً ولا أنقص منه. فقال النبيُّ ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أنْ ينظرَ إلى رجلٍ من أهل الجنَّةِ فلينظرْ إلى هذا»[١].

وفي «المسندِ» عن بَشيرِ بن الخَصَاصِيَةِ قال: أتيتُ النبيَّ ﷺ لأبايعَهُ فاشترطَ عليَّ شهادةَ أنْ لا إله إلا الله، وأنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، وأنْ أقيمَ الصَّلاةَ، وأن أؤتي الزكاةَ، وأنْ أحجَّ حَجَّةَ الإسلامِ، وأنْ أصومَ رمضان، وأنْ أجاهِدَ في سبيل الله. فقلت: يا رسولَ اللهِ: أمَّا اثنتين فواللهِ ما أطيقهما[٢]: الجهادُ والصدقةُ، فقبضَ رسولُ الله ﷺ يدَهُ ثم حَرَّكها، وقال: «فلا جهادَ ولا صدقةَ، فبِم تدخلُ الجنَّةَ إذاً؟» قلتُ: يا رسول الله أنا أبايعُكَ، فبايعتُه عليهِنَّ كلِّهن[٣].

ففي هذا الحديث: أن الجهادَ والصَّدقةَ شرطٌ في دخولِ الجنَّةِ مع حُصُولِ التَّوحيدِ والصَّلاةِ والصِّيامِ والحجِّ.

ونظيرُ هذا: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «أمرتُ أنْ أقاتلَ النَّاسَ حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسولُ الله»[٤] ففهمَ عمرُ وجماعةٌ من الصحابةِ أنَّ مَنْ أتى بالشَّهادتينِ

---

(١) أخرجه مسلم (١٤).

(٢) في (ش): «ما أطيقها»، وفي (ف): «لا أطيقهما»، والمثبت من سائر النسخ هو الموافق لما في «المسند». وقد بيّنت الرواية بتمامها في «المسند» سبب كونه لا يطيقهما، فإنه قال: «فإنهم زعموا أنه من ولّى الدبُرَ فقد باء بغضب من الله، فأخاف إن حضرت تلك جَشِعَتْ نفسي، وكرهت الموت. والصدقة، فوالله مالي إلا غنيمة وعشر ذَوْدٍ، هن رسْلُ أهلي وحمولتهم».

(٣) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢١٩٥٢).

(٤) حديث متواتر، وستأتي تتمته التي أوردها المصنف من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

امتنعَ من عقوبةِ الدنيا بمجردِ ذلكَ فتوقَّفوا في قتالِ مانعي الزكاة، وفهمَ الصِّديقُ رضي الله عنه أنَّه لا يمتنعُ قتاله إلا بأداءِ حقوقِها، لقولِه ﷺ: «فإذا فعلوا ذلك منعوا مِنِّي دماءَهم وأموالَهم إلا بحقِّها وحسابُهم على الله[١]»، وقال: «الزكاةُ حقُّ المال»[٢].

وهذا الذي فَهِمَ الصِّديقُ رضي الله عنه قد رواه عن النبيِّ ﷺ فيه صريحاً غيرُ واحدٍ من الصَّحابةِ منهم: ابن عمر[٣]، وأنس[٤]، وغيرهما رضي الله عنهم، وأنَّه قال: «أُمِرْتُ أن أقاتلَ النَّاسَ حتى يَشْهدوا أنْ لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسولُ الله، ويقيموا الصَّلاةَ، ويؤتوا الزَّكاةَ»[٥]، وقد دَلَّ على ذلك قول الله تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥]، كما دَلَّ قولُه تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ [التوبة: ١١] على أَنَّ الأُخُوَّةَ في الدِّينِ لا تثبتُ إلا بأداءِ الفرائضِ مع التَّوحيدِ، فإنَّ التوبةَ مِنَ الشِّركِ لا تحصُلُ إلا بالتَّوحيدِ، ولما قرَّرَ أبو بكرٍ رضي الله عنه هذا للصَّحابةِ رجعوا إلى قولِهِ ورأوه صَواباً[٦].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، ولفظه: «عصموا» بدل «منعوا».

(٢) هذا جواب الصديق للفاروق رضي الله عنهما.

وهو في سياق حديث طويل أخرجه البخاري (١٤٠٠)، ومسلم (٢٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) سبق عزوه.

(٤) أخرجه البخاري (٣٩٢) وليس فيه ذكر الزكاة بل الصلاة.

(٥) سبق من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٦) فقال الفاروق رضي الله عنه: «فوالله ما هو إلا أن قد شرح الله صدر أبي بكر رضي الله عنه، فعرفت أنه الحق». أخرجه البخاري (١٤٠٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فإذا عُلِمَ أنَّ عقوبةَ الدُّنيا لا تُرفع عمَّن أدَّى الشهادتينِ مطلقاً، بل قدْ يُعاقبُ بإخلالهِ بحقٍّ مِنْ حقوقِ الإسلامِ، فكذلك عُقوبةُ الآخرة[١].

وقدْ ذهبَ طائفةٌ إلى أنَّ هذهِ الأحاديثَ المذكورةَ أولاً وما في معناها كانت قبلَ نزولِ الفرائضِ والحُدودِ، منهم: الزهريُّ[٢]، والثوريُّ[٣]،.....

---

(١) قال المصنف رحمه الله تعالى في «فتح الباري» (٣/ ٥٦): «وقد دلَّ هذا الحديث ـ أي حديث أنس السابق ـ على أن الدم لا يُعصم بمجرد الشهادتين، حتى يقوم بحقوقهما، وآكد حقوقهما: الصلاة، فلذلك خصها بالذكر. وفي حديث آخر أضاف إلى الصلاة: الزكاة، وذكر استقبال القبلة إشارة إلى أنه لا بد من الإتيان بصلاة المسلمين المشروعة في كتابهم المنزل على نبيهم، وهي الصلاة إلى الكعبة...».

(٢) قال الترمذي رحمه الله عقب حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه (٢٦٣٨) في تحريم النار على من شهد الشهادتين ـ وقد أورده المصنف في أول الجزء ـ: «وقد رُوي عن الزهري أنه سئل عن قول النبي ﷺ: «من قال لا إله إلا الله دخل الجنة» فقال: إنما كان هذا في أول الإسلام قبل نزول الفرائض والأمر والنهي». ثم قال الترمذي: «ووجه هذا الحديث عن بعض أهل العلم: أن أهل التوحيد سيدخلون الجنة، وإن عُذِّبوا بالنار بذنوبهم فإنهم لا يخلَّدون في النار».

وأسند الخلال في «السنة» (١٢٣٧) إلى الزهري قال: قال هشام بن عبد الملك: أبلغك أن رسول الله ﷺ أمر منادياً يُنادي: «من قال لا إله إلا الله فله الجنة؟» قال: قلت: نعم وذاك قبل أن تنزل الفرائض، ثم نزلت الفرائض، فينبغي على الناس أن يعملوا بما افترض الله عز وجل عليهم».

وأسند الخلال أيضاً (١٢٤١) إلى الضحاك بن مزاحم أنهم ذكروا عنده «من قال: لا إله إلا الله دخل الجنة»، فقال الضحاك: هذا قبل أن تحد الحدود وتنزل الفرائض.

(٣) نقله عن سفيان الثوري أيضاً: المنذري في «الترغيب والترهيب» كتاب الذكر والدعاء، الترغيب في قول لا إله إلا الله (١/ ٣٥١) ولم أجد إسناده إلى سفيان الثوري، وإنما وجدته مرويًّا عن سفيان بن عيينة في «الشريعة»، للآجري (١/ ٣٣٣)، و«الإبانة الكبرى» لابن بطة (٨١٧)، و«حلية الأولياء» لأبي نُعيم (٧/ ٢٩٥).

وغيرهما[١]، وهذا بعيدٌ جدًّا؛ فإنَّ كثيراً منها كان بالمدينةِ بعدَ نزولِ الفرائضِ والحُدودِ[٢]، وفي بعضها أنَّه كان في غزوة تبوك، وهو في آخر حياة النبي ﷺ.

وهؤلاء: منهم من يقول في هذه الأحاديث: إنها منسوخةٌ، ومنهم مَنْ يقول: هي مُحْكَمَةٌ، ولكنْ ضُمَّ إليها شرائطُ، ويلتفت هذا إلى أنَّ الزيادةَ على النَّصِ هل هي نسخٌ أم لا؟ والخلافُ في ذلك بين الأصوليينَ مشهورٌ[٣].

وقد صَرَّح الثوريُّ[٤] وغيرُه بأنَّها منسوخةٌ، وأنه نسَخَها الفرائضُ والحدودُ.

وقد يكونُ مرادُهم بالنَّسخِ: البيانَ والإيضاحَ، فإنَّ السلفَ كانوا يُطْلقون النَّسخَ على مثلِ ذلكَ كثيراً[٥]،.....

---

(١) نقله ابن بطال في «شرح البخاري» (١/ ٢٠٨) من رواية أبي عبيد عن عطاء بن أبي رباح، ومن رواية الطبري عن الزهري فيما حَدَّثه سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار وعروة بن الزبير. رحمهم الله تعالى. وذهب إليه الآجري في «الشريعة» (١/ ٣٣١).

(٢) ورواتها مدنيون أنصاريون: أنس ومعاذ وعتبان وعبادة رضي الله عنهم، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن ذلك في غزاة تبوك. وكلها ذكرها المصنف رحمه الله.

(٣) فعند الحنفية هي نسخ، وعند غيرهم ليست بنسخ.

(٤) في (ش): «النووي»! وهو تصحيف.

(٥) قال ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى في «إعلام الموقعين» (١/ ٢٩) تعليقاً على قول حذيفة رضي الله عنه: «إنما يفتي الناس أحد ثلاثة: من يعلم ما نسخ من القرآن...»: «مراده ومراد عامة السلف بالناسخ والمنسوخ رفع الحكم بجملته تارة وهو اصطلاح المتأخرين، ورفع دلالة العام والمطلق والظاهر وغيرها تارة، فإما بتخصيص أو تقييد أو حمل مطلق على مقيد، وتفسيره وتبيينه حتى إنهم يسمون الاستثناء والشرط والصفة نسخاً لتضمن ذلك رفع دلالة الظاهر، وبيان المراد، فالنسخ عندهم وفي لسانهم: هو بيان المراد بغير ذلك اللفظ، بل بأمر خارج عنه، ومن تأمل كلامهم رأى من ذلك فيه ما لا يحصى وزال عنه به إشكالات أوجبها حمل كلامهم على الاصطلاح الحادث المتأخر».

ويكونُ مقصودُهم[١]: أنَّ آياتِ الفرائضِ والحدودِ تبيَّنَ بها توقُّفُ دخولِ الجنَّةِ والنجاةِ من النارِ على فعلِ الفرائضِ واجتنابِ المحارمِ فصارتْ تلكَ النصوصُ منسوخةً، أيْ مُبيَّنةً مُفَسَّرةً، ونصوصُ الفرائضِ والحدودِ ناسخةً، أيْ مفسِّرةً لمعنى تلكَ موضِّحةً لها.

وقالتْ طائفةٌ: تلكَ النصوصُ المُطْلَقَةُ[٢] قد جاءتْ مقيَّدةً في أحاديثَ أُخَر، ففي بعضها: «مَنْ قالَ لا إله إلا الله مُخْلصاً»[٣]، وفي بعضها: «مُسْتيقناً»[٤]، وفي بعضها: «يصدِّقُ قلبُه[٥] لسانَه»[٦]، وفي بعضها: «يقولها حقًّا من قلبه»[٧]، وفي بعضها: «قد ذَلَّ بها لسانُه واطمأنَّ بها قلبُه»[٨].

---

(١) في (س): «مرادهم».

(٢) في (ت) و(د) و(ف): «المعلقة» تصحيف.

(٣) منها ما روي من حديث أبي شيبة الخدري رضي الله عنه مرفوعاً، أخرجه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٢١٣)، وغيره ولفظه: «من قال لا إله إلا الله مخلصاً بها قلبه دخل الجنة» فمات أبو شيبة رضي الله عنه بأرض الروم، فدفنَّاه. اهـ.

قلت: وقبره تحت أسوار القسطنطينية، في أيوان سراي قرب خليج القرن الذهبي في اصطنبول.

(٤) في (ت) و(د) و(ق) و(ف): «متيقناً». والمثبت موافق لما في الحديث الذي أخرجه مسلم (٣١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ولفظه: «فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقناً بها قلبه، فبشره بالجنة».

(٥) في (ش): «فصدق قلبه»، وفي (س): «مصدقاً بها قلبه و».

(٦) أخرجه الإمام أحمد (٨٠٧٠) وغيره من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٧) أخرجه الإمام أحمد (٤٤٧) وغيره من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه.

(٨) أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٢/ ٢٥٩) من حديث أبي قتادة رضي الله عنه ولفظه: «من قال لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، فذَلَّ ـ أو يَذِلُّ ـ بها لسانه واطمأن بها قلبه لم تطأه النار». وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٩)، ولفظه: «لم تطعمه النار».

[عمل القلب، وتحقُّقه بمعنى الشهادتين]

وهذا كله إشارةٌ إلى عملِ القلبِ وتحقُّقِهِ بمعنى الشَّهادتين، فتحقُّقُه بقولِ لا إله إلا الله: أنْ لا يَأْلَهَ القلبُ[١] غيرَ الله حبًّا ورجَاء وخَوفاً وتوكُّلاً واستعانةً وخُضُوعاً وإنابةً وطلباً، وتحقُّقُه[٢] بأنَّ محمداً رسولُ الله: ألا يُعْبَدَ اللهُ بغيرِ ما شَرعهُ اللهُ على لسانِ رسولهِ محمَّدٍ ﷺ.

وقد جاءَ هذا المعنى مرفوعاً إلى النبيِّ ﷺ صريحاً أنه قال: «مَنْ قالَ لا إله إلا الله مخلصاً دخلَ الجنَّة». قيل: ما إخلاصُها يا رسول الله؟ قال: «أن تَحجُزَكَ عمَّا[٣] حرَّم الله عليك»، وهذا يُروى من حديث أنسِ بنِ مالكٍ[٤] وزيدِ بن أرقم[٥]، ولكنَّ إسنادَهما لا يَصِحّ.

وجاءَ أيضاً من مراسيلِ الحسنِ نحوُه[٦].

وتحقيقُ هذا المعنى وإيضاحُه: أنَّ قولَ العبدِ (لا إله إلا الله) يقتضي: أنْ لا إلهَ له غير الله، والإله: هو الذي يطاع فلا يُعصى، هيبةً له وإجلالاً، ومحبةً وخوفاً ورجاءً، وتوكلاً عليه، وسؤالاً منه، ودعاءً له، ولا يصلحُ ذلك كلُّه إلا لله عز وجل، فمن أشركَ مخلوقاً في شيءٍ من هذه الأمورِ التي هي مِنْ خصائصِ الإلهيَّة كان ذلك قدحاً في

---

(١) ضبطت في (م): «يُؤَلِّهَ القلبُ».

(٢) في (ت) و(د) و(ق) و(ف): «وتحققه بمعنى بأن محمداً».

(٣) في (ش): «عن كل ما». وهو الموافق لما في «تاريخ بغداد»، والمثبت من سائر النسخ وهو الموافق لما في «حلية الأولياء».

(٤) أخرجه الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (١٣/ ٥٣٠).

(٥) أخرج الطبراني في «المعجم الكبير» (٥٠٧٤)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٢٥٤).

(٦) لم أجد من عزاه للحسن غير المصنف رحمه الله تعالى هنا وفي «جامع العلوم والحكم» (١/ ٥٢٣). ومن عزاه من المخرجين لـ«نوادر الأصول» فقد وَهِمَ.

إخلاصِه في قولِ لا إله إلا الله، ونَقْصاً في توحيدِه، وكان فيه من عبودية ذلك المخلوق بحسب ما فيه من ذلك، وهذا كلُّه من فروعِ الشِّرْك.

[فائدة: في بيان أنَّ قول القائل لغيره: (ما لي إلا الله وأنت) شركٌ][1]

ولهذا وَرَدَ إطلاقُ الكفرِ والشِّركِ على كثيرٍ من المعاصي التي مَنْشؤها مِنْ طاعةِ غيرِ اللهِ، أو خوفِه أو رجائِه أو التوكُّلِ عليه، أو العملِ لأجله، كما وردَ إطلاقُ الشركِ على الرياءِ[2]، وعلى الحَلِفِ بغيرِ الله[3]، وعلى التوكُّلِ على غيرِ الله والاعتماد عليه[4]، وعلى من سَوَّى بينَ اللهِ وبينَ المخلوقِ في المشيئة، مثل أن يقول: ما شاءَ اللهَ وشاءَ فلانٌ[5]، وكذا قولُه: ما لي إلا اللهُ وأنت، وكذلك ما يقدحُ في التوكل[6] وتفردِ الله بالنفعِ والضُّرِّ كالطِيَرةِ[7].....

---

(١) هذه الفائدة من حاشية (ش)، وجاء نحوها في حاشية (ت) و(ق).

(٢) عن محمود بن لبيد رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر» قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: «الرياء، يقول الله عز وجل لهم يوم القيامة إذا جُزِيَ الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذي كنتم تراؤون في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء؟». أخرجه أحمد في «المسند» (٢٣٦٣٠).

(٣) عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنه سمع رجلًا يقول: لا والكعبة، فقال ابن عمر: لا تحلف بغير الله، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك». أخرجه أبو داود (٣٢٤٦) والترمذي (١٥٣٥) وقال: «حسن». واللفظ له.

(٤) قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤]، وقال سبحانه: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

(٥) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فحدثه ببعض الكلام، فقال: ما شاء الله وشئتَ فقال: «جعلتني لله عَدْلاً، لا، بل ما شاء الله». أخرجه ابن أبي شيبة (٢٧٢٢٧) (٣٠١٨٩) واللفظ له، وأخرجه الإمام أحمد (١٨٣٩)، وابن ماجه (٢١١٧).

(٦) في (م) و(س): «التوحيد».

(٧) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «الطِّيَرة شرك» أخرجه الإمام أحمد =

والرُّقَى المكروهةِ[١]، وإتيانِ الكُهَّان وتصديقِهم بما يقولون[٢].

[اتباع هوى النفس في المنهيَّات قادحٌ في كمال التوحيد]

وكذلك اتِّباعُ هوى النَّفسِ فيما نهى الله عنه قادح في تمام التوحيد وكماله، ولهذا أطلقَ الشَّرعُ على كثيرٍ من الذُّنوبِ التي منشؤها من اتِّباعِ هوى النَّفسِ أنَّها كُفرٌ وشِرْكٌ[٣]، كقتال المُسلمِ[٤]، ومَنْ أتى حائِضاً، أو امرأةً في دُبُرها[٥]، ومَنْ شربَ الخمْرَ في المرةِ الرابعةِ[٦] وإنْ كانَ ذلكَ لا يُخْرِجُ عن المِلَّةِ بالكُلِّيَّةِ، ولهذا قال السَّلفُ: كُفْرٌ دونَ كفرٍ وشِرْكٌ دونَ شِركٍ[٧].

= (٣٦٨٧)، وأبو داود (٣٩٠٥)، وابن ماجه (٣٥٣٨). والطِّيَرَة: التشاؤم بالشيء. وهي شرك إذا اعتقد تأثيراً لغيره تعالى في الإيجاد. أو مؤدية إلى الشرك باعتقاد التأثير.

(١) عن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: كنا نرقي في الجاهلية، فقلنا: يا رسول الله! كيف ترى في ذلك؟ فقال: «اعرضوا عليَّ رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك» أخرجه مسلم (٢٢٠٠).

(٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أتى حائضاً، أو امرأة في دبرها، أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد» أخرجه الإمام أحمد (١٠١٦٧)، وابن ماجه (٦٣٩).

(٣) في حاشية (ق): «حاشية: المراد من الكفر هنا: حقيقة الكفر، لكن إذا فعل ذلك مستحلًا كما هو مبين في كتب الفقه من مذهبنا...» ولم يتضح محل النقط.

(٤) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر». أخرجه البخاري (٤٨) ومسلم (٦٤).

(٥) انظر حديث أبي هريرة رضي الله عنه السابق.

(٦) عن أسماء بنت يزيد: أنها سمعت النبي ﷺ يقول: «من شرب الخمر لم يرض الله عنه أربعين ليلة، فإن مات مات كافراً وإن تاب تاب الله عليه، وإن عاد كان حقاً على الله أن يسقيه من طينة الخبال». قالت: قلت يا رسول الله! وما طينة الخبال؟ قال: «صديد أهل النار» أخرجه الإمام أحمد (٢٧٦٠٣).

(٧) قال الترمذي رحمه الله عقب الحديث (٢٦٣٥) «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»: وقد رُوي عن ابن عباس وطاوس وعطاء وغير واحد من أهل العلم قالوا: كفر دون كفر، وفسوق دون فسوق.

وقد وردَ إطلاقُ الإلهِ على الهوى المتَّبعِ، قال اللهُ تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية: ٢٣].

قالَ الحسنُ: هو الذي لا يَهوى شيئاً إلا رَكِبَه[١].

وقالَ قتادةُ: هو الذي كُلَّما هَوِيَ شيئاً رَكِبَهُ، وكلَّما اشْتهى شيئاً أتاه، لا يَحْجُزُه عن ذلك ورعٌ ولا تَقْوى[٢].

ورُوي من حديثِ أبي أُمامة مَرفوعاً، بإسنادٍ ضَعيفٍ: «ما تحتَ ظِلِّ السماء إلهٌ يُعبدُ أعظمُ عندَ اللهِ مِنْ هوىً مُتَّبع»[٣].

وفي حديثٍ آخر: «لا تزالُ لا إله إلا اللهُ تدفعُ عَنْ أصحابِها حتى يُؤثِروا دُنياهُم[٤] على دِينِهِم، فإذا فعلوا ذلك: رُدَّتْ عليهم، وقيلَ[٥] لهم: كَذَبتُم»[٦]،

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٥٢٠١)، والفريابي في «صفة النفاق وذم المنافقين» (٤٣) (٤٦).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» مختصراً (٢٨٣١)، وابن أبي حاتم (١٥٢٠٣) بتمامه، والطبري (٢١/ ٩٣)، والفريابي في «صفة النفاق» (٤٤) كلاهما مختصراً.

(٣) مدار الحديث على الحسن بن دينار، عن الخصيب بن جحدر، عن راشد بن سعد، عن أبي أمامة رضي الله عنه. أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٣)، وأبو يعلى (كما في المطالب العالية ٢٩٩٠) والخرائطي في «اعتلال القلوب» (٨٧)، والطبراني في «الكبير» (٧٥٠٢)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٢٨٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ١١٨). والحسن بن دينار أبو سعيد التميمي: متروك، والخصيب كذلك.

(٤) تحرفت في (ش) إلى: «أبناءهم».

(٥) في (س): «ويقال».

(٦) هذا اللفظ مدرج من أحاديث عدة، وقد ذكره المصنف في «جامع العلوم والحكم» (١/ ٥٢٥) إلى ابن أبي الدنيا من حديث أنس مرفوعاً. وهو عنده في «العقوبات» (٦) بلفظ قريب.
وأخرجه ابن أبي عاصم في «الزهد» (٢٨٨)، وأبو يعلى في «المسند» (٤٠٣٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٠١٥).
=

ويشهدُ لذلك: الحديثُ الصَّحيحُ عن النبيِّ ﷺ: «تَعِسَ عبدُ الدِّينار، تَعِسَ عَبْدُ الدِّرهَم، تَعِسَ عبدُ القَطِيْفة، تَعِسَ عبدُ الخَميصةِ، تَعِسَ وانتكَسَ، وإذا شِيْكَ فلا انتَقَش»[1] فدَلَّ هذا على أنَّ كلَّ مَنْ أَحَبَّ شيئاً وأطاعَه، وكان غايةَ قصْدِه ومطلوبِه[2]، ووالى لأجله، وعادى لأجْلِه؛ فهو عبدُه، وذلك الشيءُ مَعبودُه وإلهُه.

ويدلُّ عليه أيضاً: أنَّ الله تعالى سمَّى طاعةَ الشيطانِ في معصيتِهِ عبادةً للشيطانِ، كما قالَ تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ وقالَ حاكياً عن خَلِيْلِه إبراهيمَ عليه السَّلام أنه قال لأبيه: ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا﴾ [مريم: ٤٤]، فمن لم يحقِّقْ[3] عُبوديةَ الرَّحمنِ وطاعَتَه فإنَّه يعبدُ الشَّيطانَ بطاعته له، ولم يَخْلُص مِنْ عبادةِ الشَّيطانِ إلا مَنْ أَخلصَ عُبودِيَّةَ الرَّحمنِ، وهم الذينَ قال الله فيهم: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحجر: ٤٢]، فهم الذين حَقَّقُوا قولَ لا إله إلا اللهُ، وأخلصُوا في قَوْلها، وصَدَّقُوا قولَهم بفعلِهم، فلم يلْتفِتوا إلى غيرِ اللهِ محبَّةً ورجاءً وخشيةً وطاعةً وتوكلاً، وهم الذين صَدَقُوا في قول لا إله إلا الله، وهُم عبادُ الله حقًّا.

وأخرج الطبراني في «الأوسط» (٥٤٠٨) نحوه من حديث عائشة رضي الله عنها، والبزار (٨٣٧٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٣٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنه. وأسانيدها ضعيفة.

(١) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه (٢٨٨٧) وعدة مواضع، وفي اللفظ هنا زيادة تكرار (تعس). ومعنى (تَعِسَ): هَلَك. والقطيفة: الدثار الذي له خمل. والخميصة: الكساء الأسود المربع. وهذا دعاء عليه بالتعاسة، وإذا دخل الشوك في جلده لم يستطع إخراجه بالمنقاش وألم ذلك شديد.

(٢) في (م) و(س): «وكان مِنْ غايةِ قصده ومطلوبه».

(٣) في (م) و(س): «يتحقق».

فـأمّا مَنْ قالَ لا إله إلا الله بلسانه، ثم أطاعَ الشَّيطانَ وهواهُ في معصيةِ اللهِ ومخالفتِه فقد كَذَّبَ فعلُهُ قولَه، ونَقَص مِنْ كمالِ توحيدِه بقَدْرِ مَعصيَتِهِ للهِ في طاعةِ الشَّيطانِ والهوى ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠]، ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

فيـا هـذا! كُـنْ عَبْـدًا لله لا عبـدَ الهـوى، فـإنَّ الهـوى يَهْـوِي بصاحِبِه فـي النَّارِ ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩].

تَعِسَ عبدُ الدِّرهم. تَعِسَ عبدُ الدِّينار. واللهِ ما ينجُو غَداً مِنْ عذابِ اللهِ إلا مَنْ حَقَّقَ عُبوديَّةَ اللهِ وحدَه، ولَمْ يلتفتْ مَعَهُ إلى شيءٍ مِن الأَغْيَار.

مَنْ عَلِمَ أنَّ إلهَهُ ومعبودَهُ فردٌ فليُفرِدْهُ بالعبوديَّةِ ولا يُشرِكْ بعبادة ربِّه أحداً.

كـانَ بعـضُ العارفين يتكلَّمُ على أصحابِهِ عـلى رأسِ جبلٍ، فقال في كلامه: لا ينالُ أحدٌ مرادَهُ حتَّى يَنْفَرِدَ فَرداً بفردٍ. فانزعجَ واضطَرَبَ حتَّى رأى أصحابُه أنَّ الصُّخُورَ قدْ تَدَكْدَكَتْ، وبقيَ على ذلكَ ساعاتٍ، فلمَّا أفاقَ فكأنه نُشِرَ مِنْ قَبْرٍ[1].

قولُ (لا إله إلا الله) يقتضي أنْ لا يُحِبَّ سواه، فإنَّ الإلهَ هو الذي يُطاعُ محبةً[2] وخوفاً ورَجاءً.

ومِـنْ تمـامِ محبَّتِـهِ: محبـةُ مـا يُحِبُّـهُ وكراهةُ مـا يكْرهُـه، فمَـنْ أحبَّ شـيئاً مما يَكْـره اللهُ، أو كَـرِهَ شَـيئاً ممـا يحبُّـه اللهُ لم يَكْمُـل توحيـدُه ولا صدقُهُ في قـولُ (لا إله إلا الله)، وكانَ فيـه مِـنَ الشِّـركِ الخَفِيِّ بحسـبِ ما كَرِهَـهُ مما يحبُّه الله، ومـا أحبَّه مما

---

(١) أخرجه ابن الجوزي في «القصاص والمذكرين» (١٤٧) من طريق ابن باكويه. والعارف هو: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل المغربي المتوفى (سنة ٢٧٦هـ) رحمه الله تعالى

(٢) في (س): «فلا يعصى محبة له».

يكرهه الله، قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٢٨].

قالَ لَيْثٌ عن مُجاهدٍ في قولهِ تعالى: ﴿لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥] قال: لا يُحبُّون غَيري[١].

وفي «صحيح الحاكم» عن عائشة رضي الله عنها، عن النبيِّ ﷺ قال: «الشِّرك[٢] أخفى من دَبِيْبِ الذَّرِ على الصَّفا في الليلةِ الظَّلماءِ، وأدنَاه أنْ تُحِبَّ على شيءٍ من الجَوْرِ وتُبْغِضَ على شيءٍ مِنَ العَدْلِ، وهل الدِّينُ إلا الحُبُّ والبُغْضُ، قال اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]»[٣] وهذا نصٌّ في أنَّ محبةَ ما يكرهُهُ اللهُ وبغضَ ما يحبُّه الله متابَعَةٌ للهوى، والموالاةُ على ذلك والمُعاداةُ عليهِ مِن الشِّركِ الخَفِيّ.

وقالَ الحسَن: اعلمْ أنَّكَ لَنْ تُحِبَّ اللهَ حتى تُحِبَّ طاعَتَه[٤].

---

(١) أخرجه الختلي في «المحبة لله» (٦٤)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ٢٩٦).
والمثبت من (م) و(س) وفي سائر النسخ: «لا تشركوا بي شيئاً» قال: لا تحبوا غيري. وهو تصحيف في الآية بني عليه تغيير في الأثر. فلا يغتر به.

(٢) وقع في (م) و(س) زيادة هنا «في هذه الأمة»، وليست في «المستدرك»، وإنما هي مدرجة من مصدر آخر.

(٣) أخرجه الحاكم (٢/ ٢٩١) وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، وأخرج شطره الثاني ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣٤٤٨) وعقبه بقول أبي زرعة: «هذا حديث منكر وعبد الأعلى منكر الحديث ضعيف». عبد الأعلى بن أيمن أحد رجال مخرجه. وأخرجه البزار (كشف الأستار ٣٥٦٦) مختصراً جداً، بلفظ: «الشرك أخفى في أمتي من دبيب النمل على الصفا».

(٤) أخرج الختلي في «المحبة لله» (٥٧) عن الحسن: «من قال: إني أحب الله تعالى فهو كاذب، لو أحبَّ الله تعالى بعمل يحبه الله»... وقد أورد المصنف رحمه الله تعالى اللفظ الذي ذكره هنا في كتابه «جامع العلوم والحكم» (١/ ٢١٢)، وفي «استنشاق نسيم الأنس».

وسُئِلَ ذو النُّونِ المصري متى أُحِبُّ رَبِّي؟ قال: إذا كان ما يُبْغِضُه عندَك أَمَرَّ مِنَ الصَّبِرِ[١].

وقال بِشْرُ بن السَّرِيّ: ليسَ من أعلامِ الحُبِّ أَنْ تُحِبَّ ما يُبْغِضُهُ حَبِيبُك[٢].

وقال أبو يعقوب النَّهْرَجُورِي: كُلُّ من ادَّعى مَحبةَ اللهِ ولم يوافِق اللهَ في أمرِه فدعواه باطلٌ[٣].

وقالَ يحيى بن مُعاذ: ليسَ بصادقٍ من ادَّعى محبَّةَ اللهِ ولَمْ يحفَظْ حُدودَه[٤].

وقالَ رُوَيمٌ: المحبَّةُ الموافقةُ في جميعِ الأحوالِ، وأنشد:

ولو قلتَ لي مُتْ مُتُّ سمعًا وطاعةً وقلتُ لداعي الموتِ أهلاً ومرحبا[٥]

ويشهدُ لهذا المعنى أيضاً قولهُ تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

قالَ الحسنُ: قالَ أصحابُ النبيِّ ﷺ: يا رسول الله! إنّا نُحِبُّ ربَّنا حُبًّا شديداً، فأحبَّ اللهُ أنْ يجعلَ لُحبِّه عَلَماً، فأنزلَ اللهُ هذه الآية[٦].

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٣٦٣) و(٩/ ٣٩٢) والصَّبِر عصارة نبات مر.

(٢) أخرجه الختلي في «المحبة لله» (٢٠)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٣٠٠) (١٠/ ٧).

(٣) النهرجوري هو إسحاق بن محمد المتوفى (سنة ٣٣٠هـ) رحمه الله تعالى، ذكره السلمي في «طبقات الصوفية» (ص: ٢٨٦). وهذا الأثر عنه ذكره المصنف أيضاً في «جامع العلوم والحكم» (١/ ٢١٣) (٢/ ٣٩٧).

(٤) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٦٧)، وأورده القشيري في «الرسالة القشيرية» (٢/ ٤٨٨).

(٥) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٣٠١)، وأورده السلمي في «طبقات الصوفية» (ص: ١٥٠)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٩/ ٤٢٩).

وفي حاشية (س): «بلغ».

(٦) أخرجه الختلي في «المحبة لله» (٦٢) وابن أبي حاتم في «الزهد» (٢٩)، وله طرق متعددة عن =

وَمنْ هُنا يُعْلَمُ أنَّه لا تَتِمُّ شهادةُ أن لا إله إلا اللهُ إلا بشهادةِ أَنَّ محمداً رسولُ الله، فإنَّه إذا عُلِمَ أنَّه لا تتمُّ محبَّةُ اللهِ إلا بمحبَّةِ ما يُحبُّه، وكراهَةِ ما يَكْرهُهُ، فلا طريقَ إلى معرفةِ ما يحبُّه وما يكرهُهُ إلا من جِهَةِ محمَّدٍ [ﷺ] المبلِّغ عنِ اللهِ ما يُحبُّهُ وما يَكْرَهُهُ[١]، فصارتْ محبةُ اللهِ[٢] مستلزمةً لمحبَّةِ رسولِهِ وتصديقِهِ ومتابَعَتِهِ، ولهذا قرنَ اللهُ بين محبَّته ومحبةِ رسولِهِ في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [التوبة: ٢٤] كما قَرَنَ بين طاعةِ اللهِ[٣] وطاعةِ رسولِهِ في مواضعَ كثيرةٍ، وقالَ ﷺ: «ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فيه وَجَدَ بهنَّ حلاوةَ الإيمانِ: أَنْ يكونَ اللهُ ورسولُه أَحَبَّ إليه مما سِواهما، وأن يُحِبَّ المرءَ لا يحبُّه إلا للهِ، وأن يكرهَ أن يرجِعَ إلى الكُفْرِ بعدَ إذ[٤] أنقذَهُ اللهُ مِنْه كما يَكْرَهُ أَنْ يُلقى في النَّارِ»[٥].

هذه حالُ السَّحَرةِ لما سكَنَت المحبةُ قلوبَهم[٦] سَمَحُوا ببذلِ نفوسِهِم، وقالوا لِفرعون: ﴿فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾ [طه: ٧٢].

= الحسن مرسلاً منها ما في «جامع البيان» للطبري (٥/ ٣٢٥). وروي نحوه من مراسيل ابن جريج عند الطبري أيضاً (٥/ ٣٢٥) ولكن ليس في رواياته أنهم أصحاب رسول الله، بل ذكر الطبري أن ذلك يحمل على قول النصارى، الذين كان سياق الآيات فيهم.

(١) جاءت الجملة في (س) بعد الاستثناء: «باتباع ما أمر به واجتناب ما نهى عنه».

(٢) في (س): «محبته».

(٣) في (م) و(س) و(ش): «طاعته».

(٤) في (ت) و(د): «أن».

(٥) الحديث أخرجه البخاري (١٦) (٢١) (٦٩٤١) ومسلم (٤٣) من حديث أنس رضي الله عنه. واللفظ أقرب إلى لفظ مسلم.

(٦) في (س): «في قلوبهم».

ومتى تمكَّنت المحبةُ في[١] القَلْبِ: لم تَنْبَعِث الجوارحُ إلَّا إلى طاعَةِ الرَّبِّ، وهذا هو مَعنى الحديثِ الإلهيِّ الذي خَرَّجَهُ البخاريُّ في «صحيحِهِ»، وفيه: «ولا[٢] يزالُ عَبْدِي يتقرَّبُ إليَّ بالنَّوافلِ حتى أُحِبَّه، فإذا أحببتُهُ كنتُ سَمْعَه الذي يَسمعُ بِه، وبصَرَهُ الذي يُبْصِرُ به، ويدَهُ التي يَبْطِشُ بها، ورِجْلَهُ التي يَمْشِي بها»[٣].

وقد قيل: إن في بعضِ الرِّوايات «فبِي يسمعُ وبي يُبْصِرُ وبي يَبْطِشُ، وبي يَمْشِي»[٤].

والمعنى: أنَّ محبَّةَ اللهِ إذا استغرقَ بها القلبُ واستولتْ عليه: لَمْ تنبعث الجوارحُ إلَّا إلى مَرَاضِي الرَّبِّ، وصارت النفسُ حِينئذٍ مُطمئنَّةً، فَفَنِيَتْ بإرادَةِ مولاها عن مُرادها وهَواها.

يا هذا! اعبد اللهَ لمرادِهِ منكَ لا لمُرادِكَ منه، فمَنْ عَبَدَهُ لمرادِهِ منه فهُو مِمَّن ﴿يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ﴾ [الحج: ١١]، ومتى قَوِيت المعرفةُ والمحبَّة لم يردْ صاحِبُها إلا ما يُريدُه مولاه.

وفي بعض الكتب السالفة: مَنْ أحبَّ اللهَ لم يكنْ شيءٌ عندَهُ آثَرَ مِنْ رضاه، ومَنْ أحبَّ الدنيا لم يكنْ شيءٌ عندَه آثَرَ مِنْ هوى نفسِه[٥].

---

(١) في (س): «من».

(٢) كذا في جميع النسخ: «ولا»، وفي «الصحيح» «وما».

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) هذه الرواية ذكرها الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٢/ ١١٢) ولم يذكر لها إسناداً ـ في النسخة المسندةَ ـ ولهج بذكرها الإمام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم في كثير من المواضع في كتبهما. قال الذهبي رحمه الله في «تاريخ الإسلام» (٥١/ ٣٦٣): «لم أجد هذه اللفظة: «فبي يسمع وبي يبصر..».

(٥) أخرجه الختلي في «المحبة لله» (١٣٥) عن فرقد السبخي قال: قرأت في بعض الكتب...

وروى ابنُ أبي الدُّنيا بإسنادِهِ عن الحَسَن قال: ما ضَرَبتُ[١] ببصَرِي ولا نطقتُ بلِساني، ولا بَطَشتُ بيدي، ولا نهَضْتُ على قَدَمي حتَّى أنظر: على طاعةٍ[٢] أو على مَعْصيةٍ؟، فإن كانتْ طاعةً تقدَّمتُ، وإن كانتْ معصيةً تأخَّرت[٣].

هذا حالُ خواصِّ المحبِّين الصَّادقين. فافهمُوا رحمكُم اللهُ هذا، فإنَّه من دقائِقِ أسرارِ التوحيدِ الغَامِضَة.

وإلى هَذا المقامِ أشارَ النبيُّ ﷺ في خُطْبَتِه لمَّا قَدِمَ المدينةَ، حيثُ قال: «أحبُّوا اللهَ مِنْ كُلِّ قلوبِكُم»[٤]، وقد ذكرَها ابنُ إسحاقَ وغيرُه.

فإنَّ مَنْ امتلأ قلبُه مِنْ محبَّةِ اللهِ لمْ يكُنْ فيه فراغٌ لشيءٍ[٥] مِنْ إراداتِ النَّفْسِ أو الهوى، وإلى ذلكَ أشارَ القائلُ[٦] بقولِهِ:

---

(١) تصحفت في (م) و(ق) و(س) إلى: «نظرت».

(٢) في (س): «أعلى طاعة الله».

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الورع» (١٩٥).

(٤) هو في «سيرة ابن إسحاق»، وهو في «سيرة ابن هشام» (ص: ٤٣٠). وأخرجه من طريق ابن إسحاق: الختلي في «المحبة لله» (٢) مرسلاً. وأخرجه من وجه آخر من حديث أبي سلمة بن عبد الرحمن ابن عوف مرسلاً: هناد بن السري في «الزهد» (٤٩٠) ـ وسقط من مطبوعاته، ويستدرك مما عزاه إليه السيوطي في «جمع الجوامع» وهو في «كنز العمال» (٤٧/ ٤٤) ـ والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٥٢٤).

(٥) في (ف): «لشيء سواه».

(٦) الأبيات للمتنبي، من قصيدة طويلة. وهي في «ديوانه» بشرح العكبري (٢/ ٣٨٥ ـ ٣٩٧) قالها في أبي شجاع عضد الدولة، وهي آخر ما قال سنة (٣٥٤). وليس منها البيت الثالث والسادس المذكوران هنا. فأما الثالث فهو للحسن بن هانئ أبي نواس، وأما السادس فلم يذكره سوى ابن الجوزي في «المدهش» (ص: ٥٠٢)، وكأن المصنف أخذ جملة الأبيات منه.

أَروحُ وقَــدْ خَتَمْــتُ علــى فـؤادِي ... بِـحُـبِّــكَ أنْ يَــحُلَّ بــهِ سِــواكا
فَلَـو أنّـي اسـتَطَعْتُ غَضَضْـتُ طَرْفي ... فَـلَــمْ أنـظُــرْ بــهِ حـتَّــى أراكَا
أُحِبُّــكَ لا بِبَعْضِــي بــلْ بكُلِّــي ... وإنْ لَــمْ يُبْــقِ حُبُّــكَ لــي حَــراكا
وفــي الأحبــابِ مَخْصــوصٌ بوَجْــدٍ ... وآخَــرُ يـدَّعــي مَعَــهُ اشـتِراكا
إذا اشــتبكت[1] دُمــوعٌ فــي خُــدُودٍ ... تبيَّــن مَــنْ بَكَــى ممَّــنْ تباكــى
فأمَّــا مَــنْ بكــى فيــذوبُ وَجْــداً ... ويَنطِـقُ بالهـوى مَـنْ قَـدْ تَشَـاكى[2]

متى بَقِيَ للمُحِبِّ مِنْ نَفْسِه حَظٌّ فما بيدِهِ مِنَ المحبَّةِ إلا الدَّعوى. إنَّما المحبُّ مَنْ يَفْنى عَنْ هوى نفسِه كله، ويبقى بحبيبِه «فبي يَسْمَعُ وبي يُبْصِر».

القلبُ بَيْتُ الرَّب[3].

وفي الإسْرائِيليَّات: يقولُ اللهُ: «ما وَسِعَني سمائي[4] ولا أَرْضِي، ولكنْ وَسِعَني قلبُ عبدي المؤمِنِ»[5] فمتى كانَ القلبُ فيه غيرُ اللهِ، فاللهُ أغنى الأغنِياءِ عَن الشِّركِ، وهُو لا يَرْضى بمزاحمةِ أصنامِ الهوى.

الحقُّ تعالى غَيُورٌ يغارُ على عَبْدِه المؤمنِ أنْ يَسكُنَ في قلبِهِ سِواه، أو أنْ يكونَ فيه شيءٌ لا يرضاه.

---

(١) في (س): «استكبت». وفي «ديوان المتنبي»: «اشتبهت».

(٢) في (ق) و(س): «تباكا». وهو الموافق لما في «المدهش».

(٣) في (ش): «بيد الرب». قال ابن تيمية رحمه الله في «أحاديث القصاص» (ص: ٥٥) بعدما أشار إلى أنه من الإسرائيليات: «فإن القلب بيت الإيمان بالله ومحبته ومعرفته، وليس هذا من كلام النبي ﷺ».

(٤) في (ت) و(د) و(ق) و(ف): «سمواتي».

(٥) قال ابن تيمية رحمه الله في «أحاديث القصاص» (ص: ٥٣): «مذكور في الإسرائيليات وليس له إسناد معروف عن النبي ﷺ. ومعناه: وسعني قلبه بالإيمان ومحبتي ومعرفتي، وإلا فمن قال: إن ذات الله تعالى تحل في قلوب الناس، فهذا أكفر من النصارى الذين خصوا ذلك بالمسيح وحده».

أَرَدْناكُمُ صِرْفاً فلمّا مَزَجْتُمُ ... بَعُدْتُمْ بمقدارِ التفاتِكمُ عَنَّا

وَقلنا لكمْ لا تُسْكِنُوا القَلْبَ غيرَنَا ... فأَسْكَنْتُمُ الأغيارَ ما أَنْتُمُ مِنَّا[1]

لا يَنْجُو غَداً إلا مَنْ لَقِيَ[2] اللهَ بقلبٍ سَليمٍ ليس فيه سواه. قالَ الله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٩] القلبُ السليمُ هو الطَّاهِرُ من أدناسِ المُخالفَات، فأمَّا المُتَلَطِّخُ[3] بشيءٍ من المكروهاتِ فلا يَصْلُحُ لمجاورةِ حضرة القُدْسِ إلا بعدَ أنْ يُطَهَّرَ في كِيْرِ العَذابِ، فإذا زالَ منهُ الخَبَثُ صَلَحَ حينئذٍ للمُجاورة، «إنَّ اللهَ طيِّبٌ لا يقبلُ إلا طَيِّباً»[4] فأما القلوبُ الطَّيِّبةُ[5] فتصْلُحُ للمجاوَرة مِنْ أوَّلِ الأَمْرِ ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٤] ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣] ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢].

مَنْ لم يُحرِق اليومَ قلبَه بنارِ الأَسفِ على ما سَلَف، أو بنارِ الشَّوقِ إلى لقاءِ الحبيب فنارُ جَهنَّمَ له أشدّ حرًّا.

ما يحتاج إلى التَّطهيرِ بنارِ جهنَّمَ إلا مَنْ لم يُكمِلْ تحقيقَ التَّوحيدِ والقيامَ بحُقُوقِه.

أوَّلُ من[6] تسعَّرُ به النَّارُ مِنَ الموحِّدينَ: العبَّادُ المراؤونَ بأعمالِهم، وأوَّلُهم العالمُ والمجاهدُ والمتصدِّقُ للرياءِ، لأنَّ يسيرَ الرِّياءِ شِرْكٌ[7].

---

(١) البيتان ذكرهما ابن الجوزي في «المدهش» (ص: ٣٢٧).

(٢) في (س): «أتى».

(٣) في (ش): «المُلَطَّخ».

(٤) أخرجه مسلم بهذا اللفظ (١٠١٥). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وله طرق في «الصحيحين» عنه.

(٥) في (ش): «المطمئنة».

(٦) في (ش): «ما». وتسعير النار بأولئك في «الترمذي» (٢٣٨٢)، وأصله في «الصحيحين».

(٧) «يسير الرياء شرك» أخرجه ابن ماجه (٣٩٨٩) من حديث معاذ رضي الله عنه. قال المصنف في «جامع العلوم والحكم» (٢/ ٣٣٤): «بإسناد ضعيف».

ما نَظَرَ المُرائي إلى الخَلْقِ في عَمَلِهِ إلا لجَهْلِهِ بعَظَمَةِ الخَالِق.

المرائي يُزوِّرُ التَّواقيعَ على اسمِ المَلِك، ليأخذَ البراطيلَ[1] لِنَفْسِه، ويُوهِمَ أنَّه مِنْ خَاصَّةِ المَلِكِ، وهو ما يعرفُ المَلِكَ بالكُلِّيَّة.

نَقَشَ المُرائي على الدِّرهمِ الزائِفِ اسمَ المَلِكِ ليروجَ، والبَهْرجُ ما يجوزُ[2] إلَّا على غيرِ النَّاقِدِ.

وبعدَ أهلِ الرِّياءِ يدخُلُ النَّارَ أصحابُ[3] الشَّهَواتِ وعبيدُ الهوى، الذينَ أطاعُوا هواهم وعَصَوا مولاهم، فأمَّا عبيدُ اللهِ حقًّا فيقال لهم: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ [الفجر: ٢٧ ـ ٣٠]، نارُ جهنَّمَ تَنطَفِئُ بنُورِ إيمانِ الموحِّدين.

في الحديث: «تَقولُ النَّارُ للمؤمِنِ: جُزْ يا مُؤمن فقد أطفأ نورك لهبي»[4].

وفي «المُسنَدِ» عن جابرٍ عن النَّبيِّ ﷺ: «لا يَبقى بَرٌّ[5] ولا فاجرٌ إلا دَخَلها، فتكونُ على المؤمِنِ[6] بَرْداً وسَلاماً كما كانتْ على إبراهيمَ، حتَّى إنَّ للنَّارِ ضَجِيْجاً مِنْ بَرْدِهم»[7].

---

(١) البراطيل: جمع بِرطيل، وهو الرشوة، وهذا اللفظ مستعمل إلى اليوم في بلاد الشام.

(٢) في (س): «لا يجوز»، وفي حاشيتها: «يروج».

(٣) في (س): «أهل».

(٤) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢/ ٦٦٨). والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٦٩) وقال: «وهو منكر». وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٣٢٩) من حديث يعلى بن مُنْيَة رضي الله عنه.

* تنبيه: يقال في يعلى بن منية: ابن أمية أيضاً، ويتصحف إلى مُنَبِّه.

(٥) في (ش): «مؤمن». والمثبت هو الموافق لما في «المسند».

(٦) في (س) و(ش): «المؤمنين». والمثبت من (ف) هو الموافق لما في «المسند».

(٧) أخرجه الإمام أحمد (١٤٥٢٠).

هذا مِيراثٌ وَرِثَه المحبُّون مِنْ حَالِ الخَليلِ عليه السَّلام. نَارُ المحبَّةِ في قلُوبِ المحبِّين تخافُ منها نارُ جهنَّم.

قالَ الجُنَيدُ: قالت النَّارُ: يا ربِّ! لو لم أُطِعْكَ هَلْ كنتَ تُعذِّبُني بشيءٍ هو أَشَدُّ مني؟ قال: نعم كنتُ أسلِّطُ عليكِ نارِي الكبرى. قالتْ: وهلْ نارٌ أعظمُ مِنِّي وأشد؟ قال: نعم، نارُ محبَّتي أسكَنْتُها قلوبَ أوليائِي المؤمنين[١]

قِفَا قليلاً بها عليَّ فلا ... أقلَّ مِنْ نَظْرةٍ أُزَوِّدُها

ففي فُؤادِ المحِبِّ نارُ هوى ... أحَرُّ نارِ الجحيمِ أبرَدُها[٢]

لولا دموعُ المحبِّين تُطْفِئُ بعضَ حرارةِ الوَجْدِ لاحترقُوا كَمَدًا:

دَعُوْهُ يُطْفِئُ بالدُّموعِ حَرَارةً ... على كَبِدٍ حَرَّى دَعُوهُ دَعُوهُ

سَلُوا عَاذِليهِ يَعْذِرُوهُ هُنَيَّةً ... فَبالعَذْلِ دُونَ الشَّوْقِ قَدْ قَتَلُوهُ[٣]

كانَ بعضُ العارفينَ يقولُ: أليسَ عَجَباً أَنْ أكونَ حيًّا بينَ أَظْهُرِكُم، وفي قَلْبي مِنَ الاشتياقِ إلى رَبِّي مثلُ شُعَلِ النَّارِ التي لا تَطْفأ[٤].

---

(١) لم أجد من ذكره أقدم من المصنف رحمه الله، وقد أورده أيضاً في «جامع العلوم والحكم» (١/ ٥٢٧).

وذكره ابن عبد الهادي في «صب الخمول على من وصل أذاه إلى الصالحين من أولياء الله» (ص: ٢٥) قال: «ولما ألقي إبراهيم في النار طفأها نور الإيمان وما سكن جسده منه، ولهذا ورد في بعض الآثار: أن النار قالت:....» فلا يبعد أن يكون من الآثار الإسرائيلية.

(٢) البيتان للمتنبي من قصيدة يمدح بها محمد بن عبيد الله العلوي. «ديوان المتنبي» (ص: ٨).

(٣) نسبهُ ابنُ الجوزي في «المدهش» (ص: ٤٠٧) إلى ابن المعتز. وإنما قائلة ذلك عابدة بمكّة يعتريها الصراخ رحمها الله، ذكرها ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (١/ ٤٥١).

(٤) في (س): «الشعل التي لا تنطفئ».

ولَـمْ أَرَ مِثْـلَ نَـارِ الحُـبِّ نـاراً تَـزِيـدُ ببُـعْدِ مُوقِدِهـا اتِّقـادَا[١]

ما للعارفينَ شغلٌ بغيرِ مولاهم، ولا هَمٌّ في غَيْرِه.

وفي الحَدِيث: «مَنْ أصبحَ وهمُّه غيرُ اللهِ فليس مِنَ الله»[٢].

قال بعضهم: من أخبرك أنَّ وَلِيَّهُ له هَمٌّ[٣] في غيرِه فلا تُصَدِّقْه[٤].

وكانَ داودُ الطَّائيُّ يقولُ في الليلِ: هَمُّك عَطَّلَ عليَّ الهمومَ وحالفَ بيني وبينَ السُّهادِ، وشَوقِي إلى النَّظَرِ إليكَ أوثقَ[٥] مني اللَّذاتِ وحالَ بَيْني وبينَ الشَّهوات، فأنا في سِجْنِكَ أيُّها الكريمُ مطلوبٌ[٦].

مـا لـي شُـغلٌ سِـواهُ مـالـي شُغـلُ ما يَصرِفُ عَنْ هَواه قلبـيَ عَذْلُ

مـا أصنـعُ إنْ جَفَـا وخـابَ الأملُ مِنِّـي بَـدَلٌ ومنـه مـا لـي بَـدَلُ[٧]

* * *

إخواني!

إذا فهمتُمْ هذا المعنى فَهِمْتُم معنى قولِ النبيِّ ﷺ: «مَنْ شَهِدَ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ صِدقاً[٨] مِنْ قلبِهِ حَرَّمَهُ اللهُ على النَّارِ»[٩].

---

(١) لم أجده عند غير المصنف رحمه الله.

(٢) أخرجه الحاكم (٤/ ٣٢٠) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) في (ت) و(د) و(ق) و(ف): «همة».

(٤) زاد أحدهم بين الأسطر (ف): لفظ الجلالة: من أخبرك أن الله وليه وله همة في غيره...، فانقلب المعنى، وهذا القول لأمة الجليل بنت عمرو العدوية رحمها الله. أخرجه ابن أبي الدنيا في «الأولياء» (٨٧).

(٥) في (م) و(ت) و(ق) و(د) و(س): «أوبق».

(٦) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الهم والحزن» (١٤٧)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٣٥٦).

(٧) ذكره ابن الجوزي في «المدهش» (ص: ٢٠٩).

(٨) في (ت) و(د) و(ف) و(ق): «خالصاً»، وفي (م) و(س): «صادقاً».

(٩) هذا من ألفاظ حديث معاذ رضي الله عنه المقدَّم أول هذا الكتاب.

فأمَّا مَنْ دَخَلَ النَّارَ مِنْ أَهْلِ هَذِه الكَلِمَةِ: فلِقِلَّةِ صِدْقِه في قَوْلِها، فإنَّ هذِه الكَلِمَةَ إذا صَدَقَتْ[١]: طَهَّرت القلبَ مِنْ كُلِّ ما سِوى اللهِ، ومتى بَقِيَ في القَلْبِ أثرٌ لسِوى[٢] اللهِ فَمِنْ قِلَّةِ الصِّدْقِ في قَوْلِها.

مَنْ صَدَقَ في قولِ لا إلهَ إلا اللهُ لَمْ يحبَّ سواه. لَمْ يَرجُ إلا إيَّاه. لَمْ يخشَ أحداً إلا الله. لم يتوكَّلْ إلا عَلى الله. لم يَبْقَ له بقيةٌ مِنْ آثارِ نفسِهِ وهَواه. ومَعَ هَذا فلا تَظُنُّوا أَنَّ المرادَ أَنَّ المحبَّ مطالبٌ بالعِصْمَةِ، وإنَّما هُو مطالبٌ كلَّما زَلَّ أنْ يتلافَى تلكَ الوَصْمَةَ[٣].

قالَ [عبدُ الرحمنِ بنُ][٤] زيدِ بنِ أَسْلَم: إنَّ اللهَ ليحِبُّ العبدَ، حتى يبلُغَ مِنْ حُبِّه له أَنْ يقولَ: اذهبْ فاعمل ما شِئتَ فقدْ غفرتُ لك[٥].

وقال الشَّعبي: إذا أحبَّ اللهُ عبداً لم يضرَّهُ ذَنْبُه[٦].

---

(١) في (ت) و(د): «صدقتَ في قولها».

(٢) في (ت) و(د) و(ق) و(ف): «لما سوى».

(٣) في (س): «الزلة». وفي حاشيتها ما يوافق المثبت هنا.

(٤) ما بين معقوفين لا يوجد في النسخ، ولا بدَّ منه، كما في مصادر التخريج.

(٥) أخرجه الختلي في «المحبة لله» (٤١) وأبو الشيخ الأصبهاني في «طبقات المحدثين بأصبهان» (٣/ ١٧٠). من كلام عبد الرحمن بن زيد بن أسلم المتوفى سنة (١٨٢هـ) رحمه الله تعالى. قال أبو حاتم الرازي: «كان في نفسه صالحاً وفي الحديث واهياً». «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٥/ ٢٣٣).

(٦) المثبت من (ش) و(س) موافقاً لنوادر الأصول. وفي (ف) و(م) و(ق) و(ت) و(د): «ذنب» موافقاً للحلية. والأثر أخرجه الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٢/ ٣٥٠) الأصل (٢٠٤)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٣١٨). وقد روي مرفوعاً من حديث أنس رضي الله عنه، أخرجه القشيري في «رسالته» (١/ ٢٠٧).

وتَفسيرُ هذا الكلامِ: أنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ لهُ عِنَايةٌ بمَنْ يُحِبُّه مِنْ عِبَادِهِ، فكلما زَلِقَ ذلك العبدُ في هُوَّةِ الهوى أخذَ بيدِهِ إلى نَجْوةِ النَّجاةِ. يُيَسِّرُ لهُ أسبابَ التَّوبةِ. يُنَبِّهُهُ على قُبْحِ الزَّلَّةِ، فيفزَعُ إلى الاعتِذار، أو يبتليه[1] بمصائبَ مكفِّرَةٍ لِمَا جَنَى[2].

في بَعْضِ الآثارِ يقولُ اللهُ تعالى: «أَهْلُ ذِكري أهلُ مجالستي، وأهلُ طاعتي أهلُ كَرامتي، وأهلُ معصيتي لا أُؤيِّسُهم مِنْ رحمتي، إنْ تابُوا فأنَا حَبيبُهم، وإنْ لم يَتُوبوا فأنا طَبِيبُهم، أبتليهم بالمصَائِب لأُطهِّرهُمْ مِنَ المعائِب»[3].

في «صَحِيحِ مُسلمٍ» عن جابرٍ، عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «الحُمَّى تُذْهِبُ الخطايا كما يُذْهِبُ الكِيرُ الخَبَثَ»[4].

---

(١) في (ش): «ويبتليه»، وفي (س): «فيبتليه».

(٢) وقال المصنف رحمه الله بعد أن ذكر أثر الشعبي في «شرح حديث لبيك اللهم لبيك»: «ومراده: أنه يمحوه عنه، وربما يَجْعَل الذنب في حقه سبباً لشدة خوفه من ربه وذله وانكساره له؛ فيكون سبباً لرفع درجة ذلك العبد عنده». فلا تعلق بمثل هذه الآثار عن السلف رحمهم الله تعالى لمن لَبَّس عليه إبليس الأمر في دعوى المحبة المنفكة عن القيام بالأمر والنهي. أو لِمن أصابتهم لوثة التحلل من الدين بدعوى المحبة، التي تكذِّب فيها أحوالُهم مقالَهم، مما نشهده اليوم فيمن اختلطت عليهم الأديان!

(٣) هذا الحديث من آثار أهل الكتاب، ولا يوجد له إسناد. وكان ابن تيمية رحمه الله يذكره في مجالسه وكتبه، ومنها: «منهاج السنة» (٦/ ٢١٠)، و«التحفة العراقية» (ص: ٧٨)، و«ورسالة في تحقيق الشكر» ضمن «جامع الرسائل» (١/ ١١٦) وغيرها. وكذلك ابن القيم رحمه الله في «مدارج السالكين» (١/ ٢١٢).

(٤) في (س): «خبث الحديد» ولفظه في «صحيح مسلم» (٢٥٧٥): أن رسول الله ﷺ دخل على أم السائب أو أم المسيب، فقال: «مالك يا أم السائب ـ أو يا أم المسيب ـ تزفزفين؟» قالت الحمى لا بارك الله فيها فقال ﷺ: «لا تسبي الحمى، فإنها تُذْهب خطايا بني آدم كما يُذْهب الكيرُ خبث الحديد».

وفي «المُسنَدِ» و«صحيح ابن حِبَّان» عن عبد الله بنِ مُغَفَّلٍ: أنَّ رجلاً لقيَ امرأةً كانتْ بَغِيًّا في الجاهليةِ، فجعلَ يلاعِبُها حتى بَسَطَ يدَهُ إليها. فقالت: مَهْ! فإنَّ الله قَدْ أذهبَ بالشركِ[١] وجاءَ بالإسلام! فتركَها ووَلَّى، فجعلَ يلتفتُ خلفَه وينظر إليها حتى أصاب وجهُه حائِطاً، فأتى النبيَّ ﷺ والدمُ يسيلُ على وجهِه، فأخبرَهُ بالأمْرِ، فقالَ ﷺ: «أنتَ عبدٌ أرادَ اللهُ بكَ خيراً» ثم قال: «إنَّ اللهَ إذا أرادَ بعَبْد خيراً عَجَّلَ عقوبته في الدنيا[٢]، وإذا أرادَ بعبدٍ شراً أمسكَ ذنبَه[٣] حتى يوافي يوم القيامة»[٤].

يا قَوم! قلوبُكُم على أصلِ الطَّهارةِ وإنَّما أصابَها رَشَاشٌ من نجاسةِ الذُّنوبِ فَرُشُّوا عليها قليلاً من دَمْعِ[٥] العُيونِ وقد طَهُرت، اعزِموا على فِطَامِ النُّفوسِ عن رَضاعِ الهوى، فالحِميَةُ رأسُ الدَّوا. متى طالبتكُم النفوسُ بمألُوفاتها فقُولُوا لها كما قالت تلك المرأة لذلِكَ الرَّجلِ الذي دَمِيَ وجهُه: (قَدْ أذهبَ اللهُ بالشركِ وجاءَ بالإسلام)[٦]، والإسلامُ يقتَضِي الاستسلامَ والانقيادَ للطَّاعَةِ. ذكِّروها مِدْحَةَ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟﴾ [فصلت: ٣٠] لعلَّها تَحِنُّ إلى الاستقامةِ. عَرِّفُوها اطِّلاعَ مَنْ هوَ أقربُ إليها من حَبْلِ الوَرِيدِ لعلَّها تستحيي مِنْ قُربِه ونَظَرِه ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ [العلق: ١٤] ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤].

رَاوَدَ رجلٌ امرأةً في فَلاةٍ ليلاً فأَبَتْ، فقال لها: ما يَرانا إلا الكواكبُ. قالت: فأين مُكَوكِبُها[٧]!!

---

(١) في (م) و(ق) و(ف) و(س): «أذهب الشرك» وفي «المسند»: «ذهب بالشرك».

(٢) في المصدرين: «عقوبة ذنبه».

(٣) في (س): «عنه بذنبه». وفي المصدرين: «أمسك عليه».

(٤) أخرجه الإمام أحمد (١٦٨٠٦)، وابن حبان (٢٩١١) واللفظ له.

(٥) في (م) و(س): «دموع»، وفي (ق) و(ف): «ماء»

(٦) في (م) و(ت) و(ف) و(س): «الشرك».

(٧) أخرجه الخرائطي في «اعتلال القلوب» (٨٣). والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨٥٣) مما حدَّث =

أكرَه رجلٌ امرأةً على نفسِها، وأمرَها بغَلْقِ الأبوابِ، ففَعَلَتْ، فقال لها: هَلْ بقيَ بابٌ لم تُغْلقِيه؟ قالت: نعم! البابُ الذي بَيْننا وبينَ اللهِ تعالى. فلَمْ[١] يتعرَّضْ لها[٢].

رأى بعضُ العارِفين[٣] رجلاً يُكَلِّمُ امرأةً، فقال: إنَّ اللهَ يراكُما! سَتَرنا اللهُ وإيَّاكُما[٤].

سُئِلَ الجنيدُ رحمهُ اللهُ تعالى: بمَ يُستعانُ على غَضِّ البَصَرِ؟ قال: بعِلْمِكَ أنَّ نظرَ اللهِ إليكَ أسبقُ مِنْ نَظَرِكَ إلى ما تَنْظُره[٥].

وقال المُحَاسِبيُّ: المُراقبةُ عِلْمُ القَلْبِ بِقُرْبِ الرَّب[٦].

كُلَّما قَوِيت المعرفةُ باللهِ قَوِيَ الحياءُ مِنْ قُرْبِهِ ونَظَرِه.

وَصَّى النبيُّ ﷺ رَجلاً: أنْ يَسْتحيي مِنَ اللهِ كما يَستحيي مِنْ رجلٍ من صالحِ عشيرتِهِ لا يُفارِقُه[٧].

= أبو عبد الرحمن العتبي عن أعرابي يحدِّث عن نفسه. والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨٥٢) مما حدَّث به الأصمعي عن أعرابي. وفي «الخلعيات» قصة مطولة يرويها الأصمعي عن عمير بن جحير الشيباني.

(١) في (س): «فتركها ولم».

(٢) أخرجه الخرائطي في «اعتلال القلوب» (٨٥).

(٣) هو الإمام الجليل محمد بن المنكدر رحمه الله تعالى. وذكره ابن الجوزي في «تلبيس إبليس» (ص: ١٣٣) عن صلة بن أشيم رحمه الله.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» (٤٦). وذكر أنه كان يكلمها في خراب، فكذلك كل موضع يُرتاب فيه.

(٥) أورده الغزالي في «إحياء علوم الدين» في كتاب المراقبة والمحاسبة (٤/ ٣٩٧).

(٦) في كتابه «القصد والرجوع إلى الله» (ص: ٣١٣). وأورده الغزالي في «إحياء علوم الدين» (٤/ ٣٩٧).

(٧) أخرجه الإسماعيلي بإسناد غريب في «مسند الفاروق» لابن كثير (٨٧٤) من حديث عمر رضي الله عنه، واللفظ له. وأخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٥٥٣٩)، والبيهقي في «شعب =

قال بعضُهم: اسْتَحي مِنَ اللهِ على قَدْرِ قُرْبِه مِنْكَ، وخَفِ اللهَ على قَدْرِ قُدْرَتِهِ عليك[١].

كانَ بعضُهم يقول: لي منذُ أربعينَ سنةً ما خَطَوتُ[٢] خُطوةً لغيرِ اللهِ، ولا نظرتُ إلى شيءٍ أستَحْسِنُه[٣] حياءً مِنَ الله عزَّ وجلَّ[٤].

كأنَّ رَقِيباً مِنْكَ يرعى خَواطِري ... وآخرَ يَرْعى ناظِري ولِساني

فما أَبْصَرَتْ عيناي بعدَكَ منظراً ... لِغَيرك إلا قلتُ قدْ رَمَقاني

ولا بَدَرَتْ مِنْ فِيَّ بعدَك لفظةٌ ... لِغَيرك إلا قلتُ قدْ سَمِعاني

ولا خَطَرَتْ مِنْ ذِكْرِ غيرِكَ خَطْرةٌ ... على القلبِ إلا عَرَّجا بعِنَاني[٥]

= الإيمان» (٧٣٤٣)، ووقع الاختلاف في صحابيه: سعيد بن يزيد الأزدي، أو سعيد بن زيد مع اتحاد مَخْرجه. وأخرجه ابن عدي في «الكامل» في ترجمة (جعفر بن الزبير الشامي) وفي ترجمة (صفدي ابن سنان) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وعنده: «من رجلين من صالحي عشيرتك»، وصوابه حديث سعيد.

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «هواتف الجنان»، (٢٣) ومحمد بن نصر المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٨٣٩). من هاتفٍ سَمِعه وُهيب بن الورد رحمه الله تعالى.

(٢) في (س): «لم أخط».

(٣) في (ش) و(م): «استحسنته».

(٤) أخرجه ابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص: ٧٨)، وفي «صفة الصفوة» (٢/ ٣٤٢) من كلام محمد بن الفضل البلخي رحمه الله تعالى.

(٥) الأبيات للبحتري، كما في «نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة» للتنوخي (٦/ ١٤٥)، ونسب الجرجاني البيت الأول في كتابه «الوساطة بين المتنبي وخصومه» (ص: ٢١٨) إلى محمد بن داود. قال المصنف ابن رجب رحمه الله في آخر كتابه «كشف الكربة»: «ولأبي عبادة البحتري في هذا المعنى أبيات حسنة، لكنه أساء بقولها في مخلوق، وقد أصلحت منها كلمات حتى استقامت على الطريقة».. فذكرها. وليست الأبيات في «ديوان البحتري».

[فضائل كلمة التوحيد]

فصل

وكلمةُ التَّوحيدِ لها فضائلُ عظيمةٌ لا يُمكِنُ هاهنا استقصاؤُها، فلنذكُرْ بعضَ ما وَرَدَ فيها:

فهيَ **كَلمةُ التَّقوى**، كما قالَهُ عمرُ وغيرُه مِنَ الصَّحابةِ(٦).

وهيَ **كلمةُ الإخلاصِ، وشهادةُ الحقِّ، ودعوةُ الحقِّ، وبراءةٌ من الشِّركِ، ونجاةُ هذا الأمْرِ.**

ولأَجلِها خُلِقَ الخَلْقُ، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

ولأجلِها أُرسِلَت الرُّسُلُ وأنزلت الكتبُ، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥](٧)، وقال تعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾ [النحل: ٢]، وهذهِ الآيةُ أَوَّلُ ما عَدَّدَ اللهُ على عِبادِه مِنَ النِّعَمِ في سُورةِ النِّعَمِ التي تُسمَّى سورةَ النَّحْلِ، ولهذا قالَ ابنُ عُيينة: ما أنعمَ اللهُ على العبادِ نعمةً أعظمَ مِنْ أَنْ عَرَّفهُم لا إلهَ إلا اللهُ، وإنَّ لا إله إلا الله لأهلِ الجنَّةِ كالماءِ الباردِ لأهلِ الدُّنيا(٨).

---

(٦) أخرجه أحمد في «المسند» (٤٤٧). وهذا المعنى ورد مرفوعاً وموقوفاً على غيره من الصحابة رضي الله عنهم؛ كعلي، وابن عباس، وابن عمر.

انظر: «الدر المنثور» للسيوطي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [الفتح: ٢٦].

(٧) جاء في النسخ: ﴿إلا يُوحى إليه﴾ على قراءة أبي عمرو.

(٨) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٩٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٢٨٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤١٨١). وعندهم: «لهم في الآخرة كالماء في الدنيا».

وفي (م) و(س): «على عبد من العباد نعمة أفضل من أن عَرَّفه».

ولأجلِها أُعِدَّتْ دارُ الثَّوابِ ودارُ العِقابِ في الآخِرةِ، فمن قَبِلَها[١] ومات عليها كانَ من أَهلِ دارِ الثَّوابِ، ومَنْ رَدَّها كانَ مِنْ أهلِ العِقَابِ.

ولأجْلِها أُمِرَت الرُّسلُ بالجِهاد، فمن قَالها عَصَمَ مالَه ودمَه، ومَنْ أباهَا فمالُهُ ودَمُه هَدْرٌ.

وهِيَ مفتاحُ دَعوةِ الرُّسُلِ، وبها كَلَّمَ اللهُ موسى كِفاحاً[٢].

وفي «مُسْنَدِ البزَّارِ» وغيرِه، عن عِياضٍ الأنصاريِّ، عن النبيِّ ﷺ قال: «إنَّ لا إله إلا الله كلمةُ حَقٍّ، على الله كريمةٌ، ولها مِنَ اللهِ مكانٌ، وهيَ كلمةٌ جَمعتْ وشَرِكَتْ، فمنْ قالَها صادِقاً أدخَلَهُ اللهُ الجنَّةَ، ومَنْ قالها كاذباً أحرزَتْ مالَه، وحَقَنَتْ دَمَه، ولَقِيَ اللهَ فحاسَبَهُ»[٣].

وهِيَ مِفْتَاحُ الجنَّةِ كما تَقَدَّم.

وهِيَ ثَمَنُ الجنَّةِ: قالهُ الحَسَنُ[٤]، وجاءَ مَرفوعاً مِنْ وُجوهٍ ضعيفةٍ[٥].

---

(١) في (ت) و(ق) و(د) و(ف): «قالها».

(٢) قال جل جلاله: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾ [طه: ١٤]. و(كلّمه كِفاحاً) يعني: بلا واسطة مَلَك.

(٣) أخرجه البزار «كشف الأستار» (٤) وقال البزار: «ولا نعلم أسند عياض إلا هذا». وليس عنده: «وهي كلمة جمعت وشركت». وهذا اللفظ موجود في «معرفة الصحابة» لأبي نُعيم (٥٤٤٢).
ومعنى «جَمعَت وشَرِكت» أي: أنها جمعت الخير لمن قالها صادقاً فأدخلته الجنة، وهي إذا شاركها قائلها بالكذب عصمت الدم والمال في الدنيا. والله تعالى أعلم.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٦٤٦١)، وإسحاق بن راهويه كما في «المطالب العالية» (٢٨٩٢) قال ابن حجر: موقوف صحيح، وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٥٠).

(٥) من حديث أنس رضي الله عنه عند ابن عدي في «الكامل» ـ ترجمة موسى بن إبراهيم ـ وأبي نعيم في «صفة الجنة» (٥١).

ومَنْ كانتْ آخرَ كلامِه دَخَلَ الجنَّةَ.

وهيَ نجاةٌ من النَّارِ، وسمعَ النبيُّ ﷺ مؤذِّناً يقولُ: أشهدُ أن لا إله إلا الله، فقال: «خَرَج مِنَ النَّارِ». خَرَّجه مُسلِمٌ[١].

وهي تُوجِبُ المغفرةَ، وفي «المسندِ» عن شَدَّادِ بن أوسٍ وعُبادةَ بن الصَّامتِ رضي الله عنهما: أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ لأصحابِه يوماً: «ارفعَوا أيديَكُم وقُولوا: لا إله إلا الله» فرفعْنَا أيدِيَنا ساعةً، ثُمَّ وَضَعَ رسولُ اللهِ ﷺ يَدَهُ، ثم قال: «الحمد لله. اللهمَّ بعثْتني بهذِه الكلمةِ، وأمرتَني بها، ووعدتَني الجنَّةَ عَلَيْها، وإنَّكَ لا تُخْلِفُ الميعاد»، ثم قال: «أَبشِروا، فإنَّ اللهَ قَدْ غَفَرَ لَكُم»[٢].

وهِيَ أَحسَنُ الحسناتِ، قالَ أبو ذرٍّ: قُلتُ يا رسولَ اللهِ! عَلِّمني عَمَلاً يُقَرِّبُني مِنَ الجنَّةِ ويُباعِدُني مِنَ النَّارِ. قال: «إذا عَمِلتَ سيئةً فاعملْ حسنةً، فإنَّها عَشْرُ أمثالِها» قلت: يا رسولَ اللهِ! لا إلهَ إلا الله مِنَ الحسناتِ هِي؟ قال: «هي أَحْسَنُ الحسناتِ»[٣].

وهـيَ تمحو الذنوبَ والخَطايا، وفي «سُنَنِ ابنِ ماجَه» عنْ أمِّ هانئٍ بنتِ أبي طالب عنِ النبيِّ ﷺ قال: «لا إله إلا الله لا تتركُ ذَنْباً، ولا يَسْبِقُها عَمَل»[٤].

رؤيَ بعضُ السَّلفِ بعدَ موتِهِ في المنامِ، فسُئِلَ عَنْ حَالِهِ فقال: مَا بَقَّت[٥] لا إله إلا الله شَيئاً[٦].

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أنس رضي الله عنه (٣٨٢).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١٧١٢١).

(٣) أخرجه بهذا اللفظ أبو نُعيم في «الحلية» (٤/ ٢١٧) وغيره، وهو في «المسند» (٢١٤٨٧) مختصراً، بلفظ: «أفضل الحسنات».

(٤) أخرجه ابن ماجه (٣٧٩٧).

(٥) في (س): «أبقت». وألحقت الألف في (م).

(٦) لم أجده.

وهيَ تُجدِّدُ ما دَرَسَ من الإيمانِ في القَلْبِ، وفي «المُسندِ»: أنَّ النبيَّ ﷺ قال لأصحَابِه: «جدِّدوا إيمانكم» قالوا: كيفَ نجدِّدُ إيمانَنَا؟ قال: «قُولُوا لا إله إلا الله»(١).

وهيَ الَّتي لا يَعْدِلها شيءٌ في الوَزْنِ، فلو وُزِنَتْ بالسَّماواتِ والأرضِ لرَجَحَت بهنَّ، كما في «المُسنَدِ» عنْ عبدِ اللهِ بنِ عمروٍ، عنِ النبيِّ ﷺ: «أَنَّ نوحاً عليه السلام قالَ لابنِهِ عندَ موتِهِ: آمرُكَ بلا إله إلا الله فإنَّ السماواتِ السَّبعَ والأَرَضينَ السَّبعَ لو وُضِعَتْ في كِفَّةٍ ووُضِعتْ لا إله إلا اللهُ في كِفَّةٍ رَجَحَتْ بهنَّ لا إله إلا الله، ولو أنَّ السَّماواتِ السبعَ والأرضينَ السَّبعَ كُنَّ حَلْقَةً مُبْهَمَةً قَصَمَتْهُنَّ لا إله إلا الله»(٢).

وفيهِ أيضاً: عنْ عبدِ اللهِ بن عمروٍ، عن النبيِّ ﷺ: «أنَّ موسى عليه السلام قالَ: يا ربِّ! عَلِّمني شيئاً أذكُرُكَ به، وأدعوك به. قالَ: يا موسى! قُلْ: لا إله إلا الله. قال: يا ربِّ! كلُّ عبادِك يقولُ هذا(٣). قال: قل لا إله إلا الله فقالَ: لا إله إلا أنت، إنَّما أُريدُ شيئاً تَخُصُّني به. قال: يا موسى! لو أنَّ السَّماواتِ السبعَ وعَامِرَهُنَّ غَيري والأَرضينَ السَّبْعَ في كِفَّةٍ ولا إلَه إلا اللهُ في كِفَّةٍ مَالَتْ بِهِنَّ لا إله إلا الله»(٤).

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٨٧١٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ولفظه: «أكثروا من قول لا إله إلا الله».

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٦٥٨٣)، (٧١٠١).

(٣) في (ت) و(د) و(ق) و(ف) و(س): «يقولون هذا».

(٤) وقع من المصنف رحمه الله تعالى هنا وفي «جامع العلوم والحكم» (٢/ ٢٠) نسبة هذا الحديث إلى «المُسند» وإلى عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وليس هو في «المسند»، وهو من حديث أبي سعيد، ومدار الحديث على أبي السمح دراج بن سمعان عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري، وروي عن دراج من وجهين:

١ ـ ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن دراج به. أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٨٣٤) (١١٤١) وهو آخر حديث فيه، والطبراني في «الدعاء» (١٤٨٠)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١٨٥).

=

وكذلكَ تَرْجَحُ بصحائفِ الذُّنوبِ، كما في حَديثِ السِّجِلَّاتِ والبِطَاقَةِ، وقد خَرَّجَهُ أحمدُ والنَّسائيُّ والتِّرمذيُّ أيضاً مِنْ حديثِ عبدِ اللهِ بن عمروٍ عن النبيِّ ﷺ[1].

وهيَ الَّتي تَخْرِقُ الحُجُبَ كلَّها حتى تَصِلَ إلى اللهِ عزَّ وجلَّ.

وفي «التِّرمذِيِّ» عن عبدِ اللهِ بن عمروٍ، عن النبيِّ ﷺ قال: «لا إله إلا اللهُ ليسَ لها دونَ اللهِ حِجَابٌ حتى تَصِلَ إليه»[2].

وفيهِ أيضاً: عَنْ أبي هُريرة عنِ النبيِّ ﷺ: «ما قالَ عبد: لا إله إلا الله مُخْلصاً إلا فُتِحَتْ له أبوابُ السَّماءِ حتى تُفْضِيَ إلى العَرْشِ ما اجتُنِبَت الكبائرُ»[3].

= ٢ ـ ابن لهيعة عن دراج به. أخرجه أبو يعلى (١٣٩٣)، والطبراني في «الدعاء» (١٤٨١)، والبغوي في «شرح السنة» (١٢٧٣).

ودراج أبو السمح: أنكر الإمام أحمد حديثه، ووثقه يحيى بن معين.

وعامِرُ الشَّيء: حافظه ومدبّره ومُمسكه عن الخلل.

(١) وهو قوله ﷺ: «إن الله عز وجل يستخلص رجلًا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً، كل سجل مد البصر، ثم يقول له: أتنكر من هذا شيئاً؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ قال: لا يا رب، فيقول: ألك عذرٌ أو حسنة؟ فيبهت الرجل! فيقول: لا يا رب. فيقول: بلى إن لك عندنا حسنة واحدة، لا ظلم اليوم عليك، فتخرج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله. فيقول: أحضروه. فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: إنك لا تُظلم. قال: فتوضع السجلات في كفة، قال: فطاشت السجلات وثقلت البطاقة. ولا يثقل شيء بسم الله الرحمن الرحيم». أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (٦٩٩٤) وهذا لفظه، والبسملة في آخره لعلها من النساخ وصوابه: «ولا يثقل شيء باسم الله»، والترمذي (٢٦٣٩) وقال: «حسن غريب». وليس هو في النسائي.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥١٨)، ولفظه: «حتى تخلص إليه» وقال: «غريب من هذا الوجه وليس إسناده بالقوي».

(٣) أخرجه الترمذي (٣٥٩٠) وقال: «حسن غريب من هذا الوجه».

ويروى عن ابنِ عبَّاسٍ مرفوعاً: «ما مِنْ شيءٍ إلا بينه وبينَ اللهِ حِجَابٌ إلا قول لا إله إلا الله، كما أنَّ شَفَتيكَ لا تحجُبُها كذلكَ لا يحجُبُها شيءٌ، حتى تنتهيَ إلى اللهِ عزَّ وجل»(١).

وقالَ أبو أُمامةَ: ما مِنْ عَبدٍ يُهلِّلُ تهليلةً فيُنَهْنِهُهَا(٢) شيءٌ دونَ العَرْش(٣).

وهي التي يَنْظُرُ اللهُ إلى قائِلها ويجيبُ دعاءَهُ خَرَّجَ النسائيُّ في كتاب «اليومِ واللَّيلةِ» مِنْ حديثِ رجلينِ من الصَّحابةِ عن النبيِّ ﷺ: «مَنْ قالَ: لا إله إلا اللهَ وحدَه لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ ولهُ الحمدُ، وهُو على كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ، مُخْلِصاً بها روحُه مُصَدِّقاً بها قلبُه لِسانَه إلا فَتَقَ اللهُ له السَّماءَ فَتْقًا(٤) حتى يَنْظُرَ إلى قائِلها مِنْ أهْلِ الأَرضِ، وحُقَّ لعبدٍ نَظَرَ اللهُ إليه أنْ يعطِيَهُ سُؤْلَه»(٥).

وهيَ الكلمةُ التي يُصَدِّقُ اللهُ قائِلَها، كما خَرَّجه النَّسائيُّ والتِّرمِذِيُّ وابنُ حِبَّانَ مِنْ حديثِ أبي هُريرةَ وأبي سعيدٍ، عن النبيِّ ﷺ قال: «إذا قالَ العبدُ: لا إلهَ إلا اللهُ واللهُ أكبر: صَدَّقهُ ربُّه وقالَ: لا إلهَ إلا أنا وأنا أكبرُ، وإذا قالَ: لا إله إلا الله وحدَه: يقولُ اللهُ: لا إله إلا أنا وَحْدِي، وإذا قالَ: لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، قال اللهُ: لا إلهَ إلا أنا وحدِي لا شَريكَ لي، وإذا قال: لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ لهُ لهُ المُلْكُ ولهُ الحمدُ، قال الله: لا إله إلا أنا لي المُلكُ ولي الحمدُ، وإذا قالَ: لا إلهَ إلا اللهُ ولا حولَ ولا قوَّةَ إلا باللهِ: قالَ اللهُ: لا إلهَ إلا أنا ولا حولَ ولا قوَّةَ إلا بي».

---

(١) أخرجه ابن سمعون في «أماليه» (١٧٢) من طريق الختلي في «الديباج» (١٣٣).

(٢) في حاشية (ف): «أي يَكُفُّها».

(٣) لم أجد هذا الأثر في المصادر المسندة، وهو في كتاب «العلو» للذهبي، ضمن سياق أثر في فضل التسبيح والتحميد والتكبير (١٣٨).

(٤) «فتقاً» زيادة من جميع النسخ إلا (ش)، ولا توجد في المصادر.

(٥) أخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٢٨) وهو في «السنن الكبرى» (٩٧٧٢).

وكان يقول: «مَنْ قالَها في مَرَضِه ثمَّ ماتَ لم تَطْعَمْهُ النَّار»[١].

وهي أفضلُ ما قالَهُ النَّبِيُّونَ، كما وَرَدَ ذَلكَ في دعاءِ يومِ عَرَفَة[٢].

وهيَ أفضَلُ الذِّكْرِ، كما في حَديثِ جابرٍ المرفوعِ: «أفضلُ الذِّكْرِ لا إله إلا الله»[٣].

وعنِ ابنِ عَبّاسٍ قال: أحبُّ كلمةٍ إلى الله تعالى: لا إله إلا الله، لا يُقبَلُ عَمَلٌ[٤] إلا بِها[٥].

وهيَ أفضلُ الأعمالِ وأكثرُها تَضْعيفاً، وتَعْدِلُ عِتْقَ الرِّقابِ، وتكونُ حِرزاً مِنَ الشَّيْطانِ، كما في «الصَّحيحينِ»، عنْ أبي هُريرة، عنِ النبيِّ ﷺ أنه قال: «مَنْ قالَ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ وهُو على كلِّ شيءٍ قديرٌ في يومٍ مائةَ مَرَّةٍ كانتْ له عَدْلَ عَشْرِ رِقابٍ، وكُتِبَتْ[٦] له مِئَةُ حَسَنَةٍ، ومُحيَ عنهُ مِئَةُ سَيِّئَةٍ، وكانتْ له حِرْزاً مِنَ الشَّيْطانِ يومَهُ ذلكَ حتى يُمْسِي، ولم يأتِ أحدٌ بأَفْضَلَ مما جاءَ بهِ إلا أحدٌ[٧] عَمِلَ أكثرَ مِنْ ذَلِكَ»[٨].

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٣٠) وقال: «حسن غريب»، والنسائي في «الكبرى» (٩٧٧٤)، وابن حبان (٨٥١).

(٢) أخرجه الإمام مالك في «الموطأ» (٧٢٦) من حديث طلحة بن عبيد الله بن كريز أنه ﷺ قال: «أفضل الدعاء دعاء يوم عرفة وأفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له».

(٣) أخرجه الترمذي (٣٣٨٣) وقال: «حسن غريب»، والنسائي في «الكبرى» (١٠٥٩٩)، وابن ماجه (٣٨٠٠).

(٤) في (س): «لا يقبل الله عملًا».

(٥) أخرجه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (٨٣٧)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٧٣/ ٢٠١).

(٦) في (م): «وكتب».

(٧) في (ق) و(ف): «رجل» وهو الموافق للموضع الثاني في البخاري.

(٨) أخرجه البخاري (٣٢٩٣) (٦٤٠٣)، ومسلم (٢٦٩١).

وفيهما أيضاً، عَنْ أبي أيُّوبَ الأنصاريِّ رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ: «مَنْ قَالها عَشْرَ مَرَّاتٍ كانَ كَمَنْ أعتَقَ أربعةَ أَنفُسٍ مِنْ وَلَدِ إسماعِيل»(١).

وفي التِّرمذِيِّ، عن ابنِ عُمرَ مَرفُوعاً: «مَنْ قَالها إذا دَخَلَ السُّوقَ..، وزادَ فِيها: يُحْيِي ويُمِيتُ وهُو حَيٌّ لا يَمُوتُ، بيدِه الخيرُ وهُوَ على كُلِّ شيءٍ قَدِيرٌ كَتَبَ اللهُ لَهُ(٢) ألفَ ألفِ حسنةٍ، ومَحا(٣) عَنْه ألفَ ألفِ سيئةٍ، ورَفَعَ لَهُ ألفَ ألفِ درجةٍ». وفي رواية: «وبنى لَه بيتًا(٤) في الجنَّةِ»(٥).

وَمِنْ فَضَائِلِها: أَنَّها أمانٌ من وَحْشَةِ القَبْرِ وهَوْلِ الحَشْرِ، كما في «المُسند» وغيرِه، عن النبيِّ ﷺ قال: «ليسَ على أهلِ لا إله إلا اللهُ وَحْشَةٌ في قُبورِهم ولا في نُشُورِهِم، وكأنِّي بأهلِ لا إله إلا اللهُ قَدْ قَاموا يَنْفُضُونَ التُّرابَ عَنْ رؤوسهم، ويقولون: الحمدُ للهِ الذي أذهبَ عَنَّا الحَزَن»(٦).

وفي حَدِيثٍ مُرسلٍ: «مَنْ قالَ لا إله إلا اللهُ الملكُ الحقُّ المُبينُ كلَّ يومٍ مئةَ مرَّةٍ كانَ(٧) له أَماناً مِنَ الفَقْرِ، وأُنساً مِنْ وَحْشَةِ القَبْرِ، واستجلَبَ به الغِنَى واستَفْرَعَ به بابَ الجنَّةِ»(٨).

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٠٤)، ومسلم (٢٦٩٣) واللفظ له. وفي البخاري «رقبة»!

(٢) في (ش): «كتبت».

(٣) في (ش): «ومُحيَ».

(٤) في (ش): «وبني له بيت»، وكذلك في (ت) ضبط الحديث على ما لم يسم فاعله.

(٥) أخرجه الترمذي (٣٤٢٨) وقال: «حديث غريب» و(٣٤٢٩). وهو مما يرويه ابن عمر عن أبيه عمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

(٦) أخرجه أبو يعلى في «مسنده الكبير» كما في «المطالب العالية» (٢٨٦٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٩). من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٧) في (ت) و(د) و(ق) و(ف): «كانت».

(٨) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٢٨٠) من حديث جعفر الصادق عن محمد الباقر =

وهي شِعارُ المؤمنينَ إذا قامُوا من القُبور، قال النَّضر بن عَربي: بلغني أنَّ الناسَ إذا قامُوا من قُبورهم كان شعارُهُم لا إله إلا الله[١].

وقد خَرَّجَ الطبرانيُّ حديثاً مرفُوعاً: أنَّ شِعَارَ هذهِ الأُمَّةِ على الصِّراطِ: يا لا إلهَ إلا أنت[٢].

ومِنْ فَضَائِلها أنها تَفْتَح لقائِلها أبوابُ الجنَّةِ الثَّمانيةُ يدخُلُ مِنْ أيِّها شَاءَ، كما في حديثِ عُمرَ رضي الله عنه، عنِ النبيِّ ﷺ فيمَنْ أتى بالشَّهادَتين بعدَ الوُضُوءِ، وقد خَرَّجَهُ مسلم[٣].

وفي «الصَّحِيحَيْنِ» عَنْ عُبادَةَ بنِ الصَّامِت، عنِ النبيِّ ﷺ: «مَنْ قَالَ أَشهَدُ أنْ لا إلـهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ لهُ، وأنَّ مُحمداً عبدُه ورسولُه، وأنَّ عِيسى عبدُ اللهِ ورسولُه[٤].....

= عن جده سمع النبي ﷺ! وأخرجه أبو نعيم في «صفة الجنة» (١٨٥) عن جعفر عن أبيه عن جده عن علي رضي الله عنه مرفوعاً. وسئل عنه الدارقطني في «العلل» (٣٠٨) وذكر وجوه الاختلاف فيه، ومَنْ رواه من مسند علي رضي الله عنه، ومن رواه مراسيل الباقر. وأخرجه ابن الأفخر في «موجبات الجنة» (٤٤) من حديث ابن عمر رضي الله عنه مرفوعاً، وهو رواية معلة مما سبق.

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «القبور» (٧١)، و«الأهوال» (٢١٨). والنضر بن عربي، هو أبو روح الباهلي الحراني رأى آخر صحابي وهو أبو الطفيل عامر بن واثلة، توفي رحمه الله (١٦٨هـ). وله ترجمة في «تاريخ دمشق» لابن عساكر.

(٢) أخرجه الطبراني من حديث عبد الله بن عمرو في «المعجم الكبير» (١٤٧٥١) و«الأوسط» (١٦٠) و«الدعاء» (١٤٨٧).

(٣) أخرجه مسلم (٢٣٤).

(٤) في مسلم «وابن أمته».

وكَلِمَتُهُ ألقاها إلى مريمَ ورُوحٌ مِنه، وأنَّ الجنَّةَ حَقٌّ وأنَّ النَّارَ حَقٌّ[١]، وأنَّ اللهَ يَبْعثُ مَنْ في القُبورِ، فُتِحَتْ لهُ ثمانيةُ أبوابٍ مِنَ الجَنَّةِ[٢] يَدْخُلُ مِنْ أيِّها شَاءَ»[٣].

وفي حَديثِ عبدِ الرَّحمن بنِ سَمُرة عَنِ النبيِّ ﷺ في قِصَّةِ مَنامِهِ الطَّويلِ وفيهِ قالَ: «ورأيتُ رَجُلاً مِنْ أُمَّتي انتهى إلى أبوابِ الجنَّةِ، فأُغلِقَت الأبوابُ دونَه، فجاءَتهُ شهادةُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ ففتحتْ لهُ الأبوابَ وأدخَلَتْه الجنَّة»[٤].

ومِنْ فضائِلها: أنَّ أهلَها وإنْ دَخَلوا النَّارَ بتقصِيْرِهم في حُقُوقِها فإنَّهم لا بُدَّ أنْ يَخْرجُوا مِنْها، وفي «الصَّحيحينِ» عنْ أنسٍ، عنِ النبيِّ ﷺ قال: «يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ: وعِزَّتي وجَلالي وكِبْريائي وعَظَمَتي لأُخْرِجَنَّ منها مَنْ قالَ لا إله إلا الله»[٥].

وَخَرَّجَ الطبرانيُّ عنْ أنسٍ، عن النبيِّ ﷺ قالَ: «إنَّ أُناساً مِنْ أهلِ لا إلهَ إلا اللهُ يَدْخُلونَ النارَ بذُنُوبهم، فيقولُ لهم أهلُ اللَّاتِ والعُزَّى: ما أَغْنى عَنْكُم قولُ لا إلهَ إلا اللهُ؟ فَيَغضَبُ اللهُ لهم فيُخْرِجُهُم مِنَ النَّارِ فيدخُلُونَ الجَنَّة»[٦].

---

(١) زاد في (س): «وأن الساعة آتية لا ريب فيها» وهذا إدراج، لا توجد هذه اللفظة في رواية «الصحيحين»، وجاءت هذه اللفظة في حديث عبادة في «مشيخة الآبنوسي» (٨٣)، و«الموضح لأوهام الجمع والتفريق» للخطيب (٢/ ٣٢).

(٢) في (س): «أبواب الجنة الثمانية» وهو الموافق لما في البخاري.

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٣٥)، ومسلم (٢٨) واللفظ أقرب له وليس فيه: «وأن الله يبعث من في القبور»، وهي موجودة في «المسند المستخرج على صحيح مسلم» لأبي نعيم (١٣٥).

(٤) أخرجه الطبراني في «الدعاء» (١٤٨٨) مختصراً، وفي «الأحاديث الطوال» (ص: ٧٣) بطوله، وابن بشران في «أماليه» بطوله (٢٤٩)، وابن شاهين في «الترغيب في فضائل الأعمال» (٥٢٦) بطوله.

(٥) أخرجه البخاري (٧٥١٠) وهذا لفظه، ومسلم (١٩٣).

(٦) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٧٢٩٣) واللفظ هنا مختصر.

ومَـنْ كانَ فـي سُـخْطِهِ مُحْسِـناً فكـيفَ يكـونُ إذا مـا رَضِي[١]

لا يُسَوِّي بينَ مَنْ وَحَّدَهُ ـ وإنْ قَصَّرَ في حُقُوقِ توحِيدِه ـ وبينَ مَنْ أشرَكَ بِه.

قالَ بعضُ السَّلَفِ: كانَ إبراهيمُ عليه السلام يقول: اللَّهمَّ لا تُشْمِتْ[٢] مَنْ كانَ يُشرِكُ بكَ بمنْ كانَ لا يُشرِكُ بك[٣].

كـانَ بعـضُ السَّـلَفِ يقـولُ فـي دُعائِهِ: اللَّهمَّ إنَّكَ قلتَ عَنْ أهلِ النَّارِ إنَّهم ﴿أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ [النحل: ٣٨]، ونحـنُ نُقْسِـمُ بـاللهِ جَهْـدَ أيمانِنَـا لَيَبْعثَـنَّ اللهُ مَـنْ يمـوتُ، اللَّهـمَّ لا تَجْمَـعْ بيـنَ أَهْـلِ القَسَـمَينِ في دارٍ واحدةٍ[٤].

كانَ أبو سُليمانَ يقولُ: إنْ طالبني ببُخْلِي طالبته بجُودِه، وإنْ طالبني بذُنوبي طالبتُه بعفوه[٥]، وإنْ أدخَلَني النَّارَ أخبرتُ أهلَ النَّارِ أني كُنْتُ أُحِبُّه[٦].

مَـا أَطْيَـبَ وَصْلَـهُ وَمَـا أَعْذَبَهُ مَـا أَثْقَـلَ هَجْـرَهُ ومَـا أَصْعَبَـهُ

---

(١) البيت لأبي محمد عبد المحسن بن محمد الصوري الشاعر، المتوفى سنة (٤١٩هـ) كما في ترجمته من «النجوم الزاهرة» لابن تغري بردي (٤/ ٢٦٩).

(٢) تصحفت هذه الكلمة في النسخ كلها إلى: «لا تشرك»، وصوابها: «لا تشمت» كما أثبت.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في «حسن الظن بالله» (١٤) عن الحكم بن جابر قال: قال إبراهيم عليه السلام: «اللهم لا تشمت من كان يشرك بك...»، وأورده المصنف مصحَّفاً أيضاً في «التخويف من النار» في الباب الثامن والعشرين، باب حسن الظن بالله.

(٤) هو من كلام عُمر بن ذر رحمه الله تعالى. أخرجه ابن أبي الدنيا في «حسن الظن بالله» (١٥).

(٥) في (ش): «بمغفرته».

(٦) من كلام أبي سليمان الداراني رحمه الله تعالى. أورده أيضاً المصنف في «التخويف من النار». أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٢٥٥) بنحوه. مما سُمِعَ منه في خلوته لا في محضر الناس.

في السُّخْطِ وفي الرِّضى فما أَهْيَبَهُ القَلْبُ يُحِبُّهُ وإنْ عَذَّبَهُ[١]

كانَ بعضُ العارفينَ يبكِي طولَ لَيْلِه ويقولُ: إنْ تُعَذِّبْنِي فإنِّي لكَ مُحِبٌّ، وإنْ تَرْحَمْني فإني لكَ مُحِبٌّ[٢].

العارِفُونَ يخافونَ مِنَ الحِجَابِ أكثَرَ ممَّا يخافونَ مِنَ العَذَابِ.

قال ذو النُّون: خَوفُ النَّارِ عندَ خَوفِ الفِراقِ كقَطْرةٍ في بَحْرٍ لُجِّيٍّ[٣].

كانَ بعضُهم يقولُ: إلهي وسيِّدي ومولاي! لو أنك عَذَّبتني بعذابِكَ كلِّهِ كانَ ما فاتَني مِنْ قُرْبِكَ أعظمَ عندي مِنَ العَذَابِ[٤].

قيلَ لبعضِهِم: لو طَرَدَكَ ما كنتَ تَفْعلُ؟ فقال:

أَنا إنْ لم أَجِدْ مِنَ الحِبِّ وَصْلًا رُمْتُ في النَّارِ مَنْزِلاً ومَقِيْلا

ثُمَّ أَزعجتُ أهلَها بِنِدَائي بُكْرةً في عِراصِها وأَصِيلا

مَعْشَر المشركينَ نُوحُوا على مَنْ يَدَّعي أَنَّهُ يُحِبُّ الجَلِيْلا

لَمْ يكنْ في الذي ادَّعاهُ مُحِقًّا فجزاهُ بهِ العذابَ الطَّويلا[٥]

---

(١) لم أجد الأبيات عند غير المصنف. وهي من بحر الدوبيت.

(٢) في حاشية (ف): «والمراد به: عتبة الغلام كما في سير السالك». أخرجه عنه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٢٣٤). و«سير السالك في أسنى المسالك» هو للفقيه العلامة تقي الدين الحصني الشافعي.

(٣) ذكره أبو طالب المكي في «قوت القلوب» (١/ ٣٧٧)، والغزالي في «إحياء علوم الدين» في كتاب الخوف والرجاء، بيان الدواء الذي به يستجلب حال الخوف.

(٤) هذا كلام العابدة رقية الموصلية رحمها الله تعالى ذكره ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٢/ ٣٥٨).

(٥) الأبيات لشاب عابد كان في مجلس ذي النون رحمهما الله، ذكرها ابن الجوزي في «صفة الصفوة» (٢/ ٤٥٠).

إخواني! اجتهدُوا اليومَ في تحقيقِ التَّوحيدِ، فإنَّه لا يُوصِلُ إلى اللهِ سِواهُ، واحرِصُوا على القيامِ بحقُوقِه، فإنَّه لا يُنْجِي مِنْ عذابِ اللهِ إلا إيَّاه.

مَا نَطَقَ النَاطِقُونَ إذْ نَطَقُوا ... أَحْسَنَ مِنْ لا إلهَ إلا هُو

تبارك اللهُ ذو الجلالِ ومَنْ ... أَشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلا هُو

مَنْ لِذُنوبي وَمَنْ يُمَحِّصُها ... غيرُكَ يا لا إلهَ إلا هُو

جِنَانُ خُلْدٍ لمَنْ يُوحِّدُهُ ... أشهدُ أنْ لا إلهَ إلا هُو

نيرانُهُ لا تُحَرِّقُ مَنْ ... يشهد[1] أنْ لا إلهَ إلا هُو

أقولُها مُخْلِصاً بلا بَخَلِ ... أشهدُ أنْ لا إلهَ إلا هُو[2]

آخره، والحمدُ لله وحده، وصلى الله على سيدنا مُحمَّدٍ وآله وسلَّم تسليماً كثيراً.

ربِّ قني عذابَك يوم تبعثُ عبادَك[3].

---

(١) في (ش): «حقَّقَ». وبكليهما يصح الوزن.

(٢) ذكر البيتَ الأولَ فقط: المستعصمي في «الدر الفريد وبيت القصيد» (٩/ ٢١٩) ونسبه إلى صالح بن عبد القدوس. وفي حاشية (س): «هذا من بحر المنسرح».

(٣) في(م): آخره والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد خاتم النبيين وأهله وصحبه أجمعين.
في (ت) و(ف): «آخره، والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم». وفي حاشية (ت): «بلغ مقابلة بحمد الله تعالى».
وفي (د): «آخره والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم».
وفي (ق): «والحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده وآله وصحبه وسلم».
وفي (س): «آخره، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم».
وفي حاشية (س): «بلغ مقابلة وتصحيحاً».